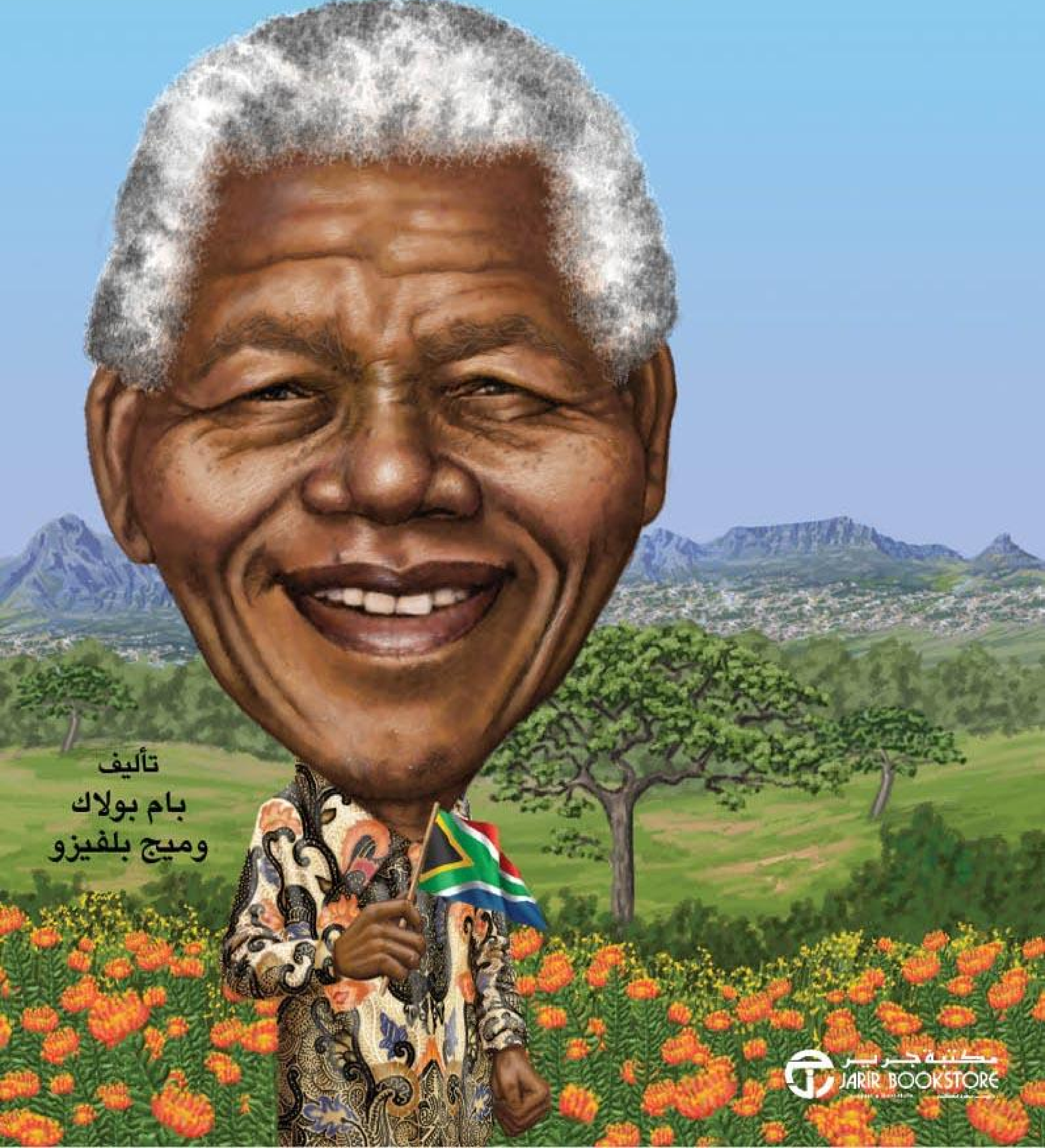
من أكثر الكتب مبيعًا في العالم

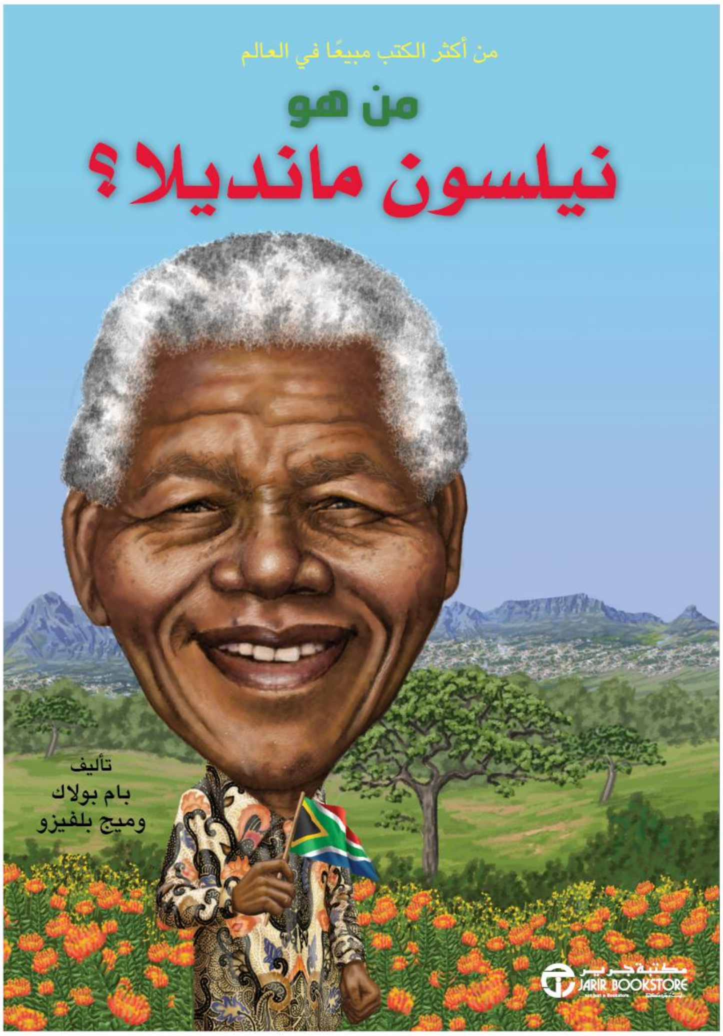
من هو
نيلسون مانديلا؟



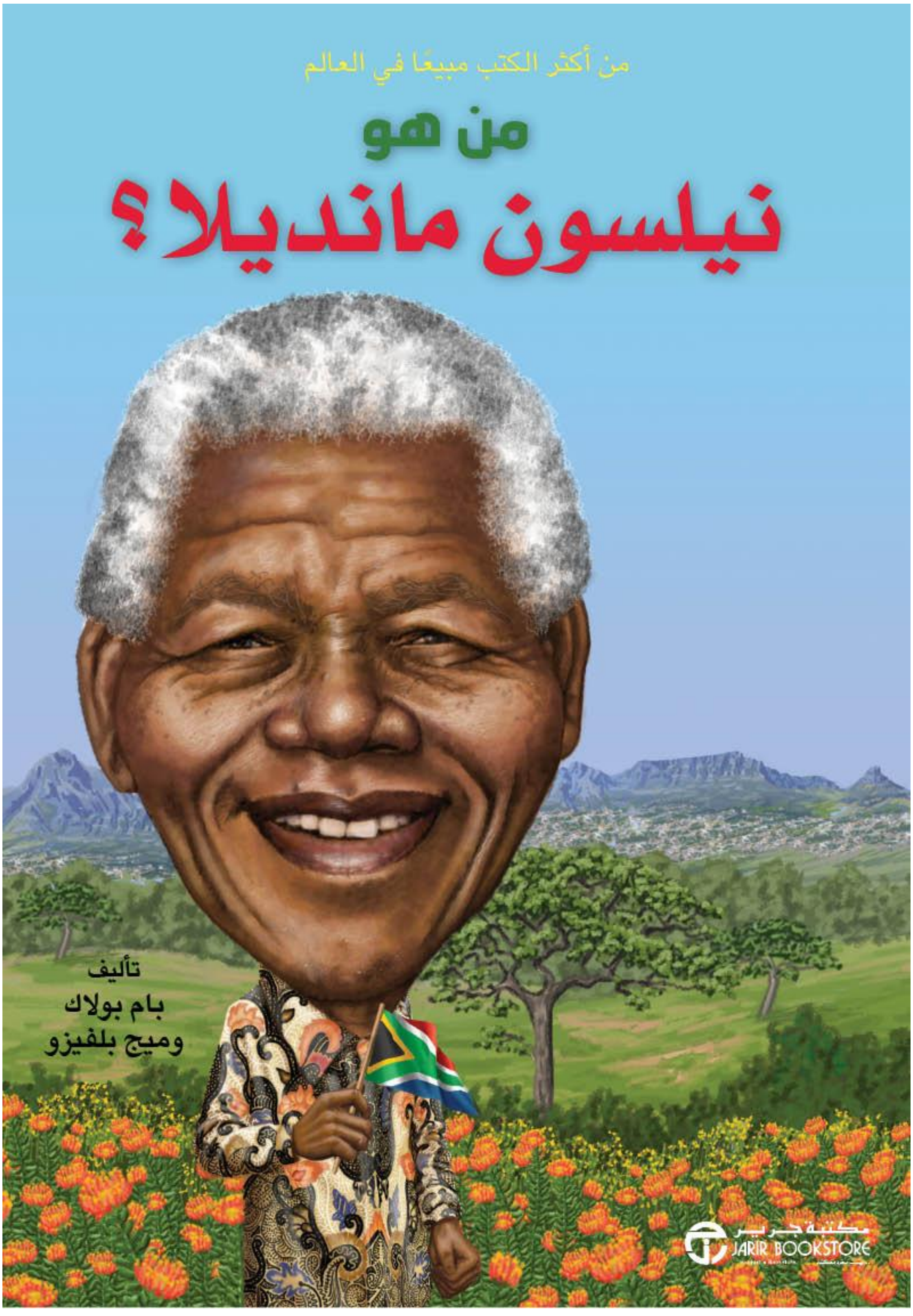
تأليف
بام بولاك
وميج بلفيزو

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

الغلاف الأمامي



الغلاف الأمامي



من هو
نيلسون مانديلا؟

تأليف: بام بولاك وميج بلفيزو
رسومات: ستيفن مارشيسي

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

إلى "جوان باركان" التي ظلت ساهرة في مدينة نيويورك لترى الرجل الكبير يخرج من السجن – "بام بولاك"

إلى جوان إس. بيلفيسو، أمامة و ماكولو – "ميج بلفيسو"

إلى دوج جيتا، وريكاردو جيتتنجز، وميدرانو ماكفيرسون، الذين علموني من خلال الاقتداء بهم – "ستيفن مارشيسي"

للتعرف على فروعنا في

المملكة العربية السعودية – قطر – الكويت – الإمارات العربية المتحدة

نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت **www.jarir.com**

للمزيد من المعلومات الرجاء مراسلتنا على: **jbpublications@jarirbookstore.com**

الطبعة الأولى ٢٠١٨

Who Was Nelson Mandela?

By Pam Pollack and Meg Belviso
Illustrated by Stephen Marchesi

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
...not just a Bookstore

من هو نيلسون مانديلا؟

في قلب تمبولاند، بجنوب أفريقيا، كان هناك بيت كبير أطلق السكان المحليون عليه " المكان العظيم". هنا عاش "يونجينتابا"، الذي كان ملكًا، وكان المكان العظيم هو منزله الملكي.



في هذا اليوم عام ١٩٢٧، كان "يونجينتابا" يعقد اجتماعًا قبليًا، وكان الرجال يتحدثون عن أمور مهمة، وأيضا كان بالغرفة فتى صغير يعيش منذ فترة قصيرة في المكان العظيم. كان عمره تسع سنوات، وبعد أن مات والد الطفل، كفله الملك.

استمع الفتى للرجال وهم يتحدثون فيما كان يراقب الرجل الذي يقوم بتربيته. لم يكن الملك يتكلم، بل كان يستمع، فقد كان يعتقد أن لكل شخص الحق في أن يكون له صوت في مملكته، أيا كان هذا الشخص.

وحينما أحس بأن الناس قد قالوا كل ما كانوا بحاجة إلى قوله، أبدى الملك رأيه، وكان هذا النهج مختلفًا تمامًا عن الطريقة التي كانت تُحكم بها دولة جنوب

أفريقيا.

جنوب أفريقيا دولة تقع في الجزء الجنوبي الأسفل من القارة الأفريقية، ومساحتها تبلغ تقريبا ضعف مساحة ولاية تكساس، ولأمد من الزمن، حكم جنوب أفريقيا الملوك السود، ثم حكمها المستوطنون البيض القادمون من أوروبا؛ حيث انتزعوا الأراضي لأنفسهم وأحكموا سيطرتهم على الدولة. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر، لم يعد لأهل جنوب أفريقيا من السود أي صوت في الحكومة.
وعندما جاء الفتى للعيش مع الشخص الجديد الذي سيقوم بتربيته، كان هناك حوالي ستة ملايين نسمة في جنوب أفريقيا - أربعة ملايين منهم كانوا سودا.



وبالرغم من ذلك لم يكونوا حقًا مواطنين في بلدهم، فلم يكن في استطاعتهم أن يقوموا بالتصويت، بل يمكنهم أن يعيشوا حيثما تسمح لهم الحكومة بذلك فحسب، وحتى الملوك مثل "يونجينتابا" لم تكن لديهم سلطة حقيقية.

بينما كان الفتى ذو التسعة أعوام يراقب اجتماع الرجل الذي يقوم بتربيته، كان يحلم بجنوب أفريقيا مختلفة: دولة يكون لكل الناس فيها من كل الألوان صوت؛ حيث الجميع أحرار ومتساوون - كان يتمنى تحقيق ذلك حينما يكبر.

كان اسم الفتى "نيلسون مانديلا". ويوما ما سيغير جنوب أفريقيا - يوما ما سيغير العالم.



الفصل الأول

المشاكس

كان اسم الفتى روليهلاهلا، وفي لغته الأصلية كانت الكلمة تعني هزاز الشجر، لكنها كانت تعني أيضا المشاكس. كان والد الفتى زعيما لجماعة من الناس تسمى عشيرة التيمبو، ومثل كثير من الزعماء كان لديه أكثر من زوجة، كما كان لديه أيضا ثلاثة عشر طفلا.



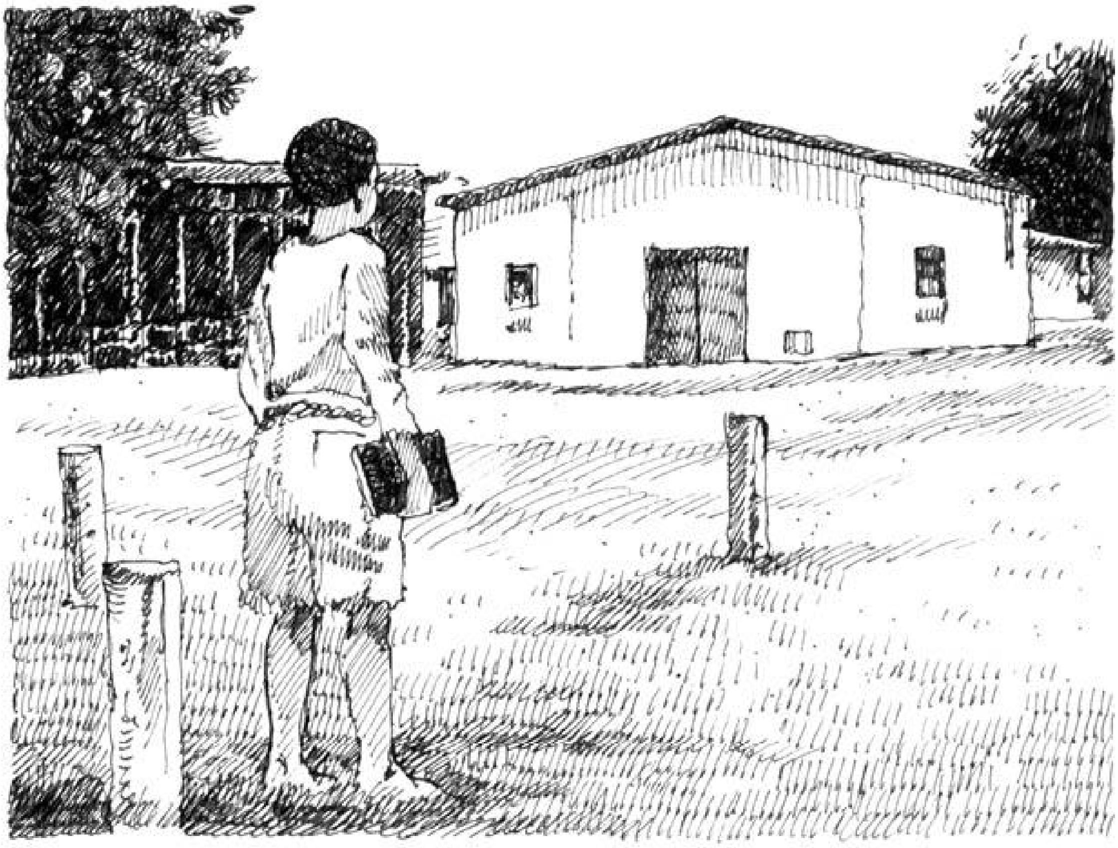
كانت أم الفتى، ''نوسيكيني فاني''، هي الزوجة الثالثة لزوجها، وكان ''روليهلاهلا'' الأول من بين أبناء أمه الأربعة؛ حيث ولد في ١٨ يوليه عام ١٩١٨.

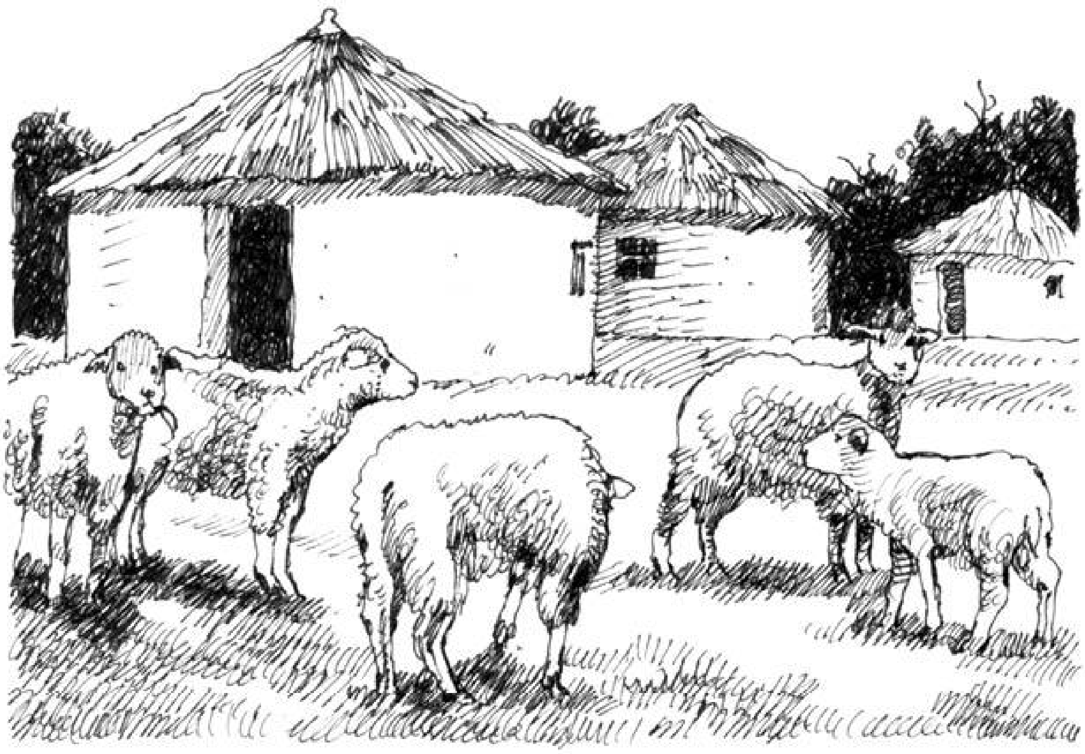


في هذا الوقت، كانت جنوب أفريقيا محكومة بواسطة الإنجليز، وكانت الحكومة البيضاء تتحكم بشكل صارم بما يفعله الجنوب أفريقيون السود، وفي الأماكن التي يذهبون إليها، وكان على ذوي البشرة السوداء أن يبقوا في أحيائهم وقراهم، التي كانت تسمى المَوَاطن الأصلية. وإذا ما غادر أي شخص أسود موطنه لأي سبب، كان عليه أن يحمل تصريح مرور خاصًا يعطيه الإذن بالسفر، حتى لو كان ذاهبا فقط إلى حي أبيض ليعمل خلال النهار، والشخص الأسود الذي يتواجد بلا سبب مقنع في أحد أحياء البيض كان يتعرض للاعتقال.

وحينما تجاهل والد " روليهلاهلا " استدعاء للمثول أمام القضاء من الحكومة البريطانية، تم تجريده من لقبه، ومعظم ماشيته وأبقاره، وذهب الفتى وأمه ليعيشا في القرية التي ولدت فيها، وذهب الفتى إلى مدرسة تديرها جمعية دينية من أوروبا، وفي أول يوم له بالمدرسة منحه والده أحد سراويله مقصوصا عند الركبة ليحل محل الدثار المصبوغ بالصلصال الأحمر الذي كان يرتديه في المنزل،

وحينما ذهب الطفل للمدرسة منحه معلمه شيئا آخر: اسمًا غريبًا، ومن هذا اليوم فصاعدا فإن ” روليهلاهلا ” سيدعى “نيلسون” - “نيلسون مانديلا”.





شارك "نيلسون" أمه وأخواته الصغار العيش في ثلاثة أكواخ صغيرة؛ حيث كان يحضر الغنم والعجول إلى المرعى وإليه، ولعبته المفضلة كانت ستيك فايتينج - رياضة جنوب أفريقية تقليدية تشبه إلى حد ما المبارزة بالسيوف، فاللاعبون يحملون عصوين، واحدة في كل يد، ثم يحاولون توجيه الضربات وتجنبها في الوقت نفسه، وكان "نيلسون" بطلا في قريته في هذه اللعبة.

وكان وقت زيارة والده للأسرة دومًا وقتًا خاصًا، ومع ذلك، وخلال واحدة من زياراته للمنزل، مرض والد "نيلسون" وتوفي، ولم يقتصر الأمر على وفاته فحسب، بل أيضا لم يستمر "نيلسون" في العيش في القرية مع أخواته وأمه؛ بل سيكون هناك رجل جديد ليقوم بتربيته:

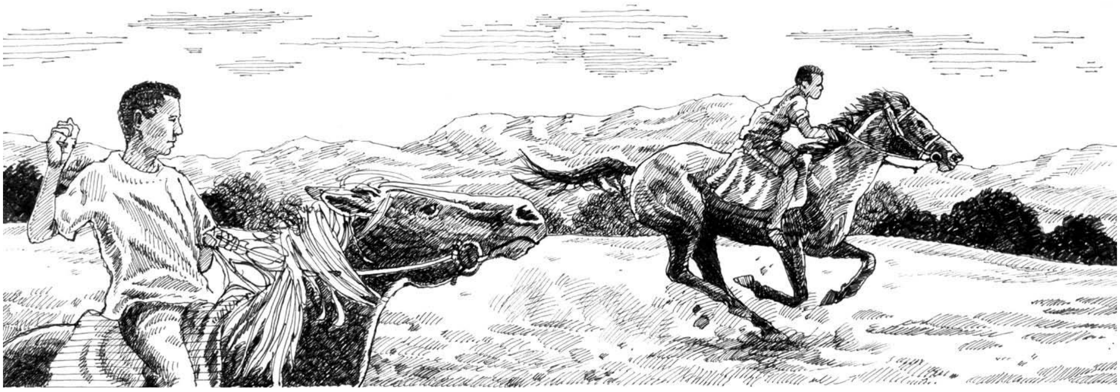
"يونجينتابا".



مشى "نيلسون" وأمه في اتجاه الغرب من القرية وهما يحملان كل متعلقاتهما، ولقد أمضيا اليوم كله وهما يمشيان على طرق صخرية، وحينما وصلا، لم يستطع "نيلسون" أن يصدق عينيه؛ فلم يسبق له أن رأى منزلًا كبيرًا مثل هذا، وخرجت سيارة فخمة عبر البوابة المفتوحة، وكان الرجل الذي خرج منها قصيرًا وضخمًا ويرتدي بدلة على الطراز الأوروبي. كان هذا "يونجينتابا".

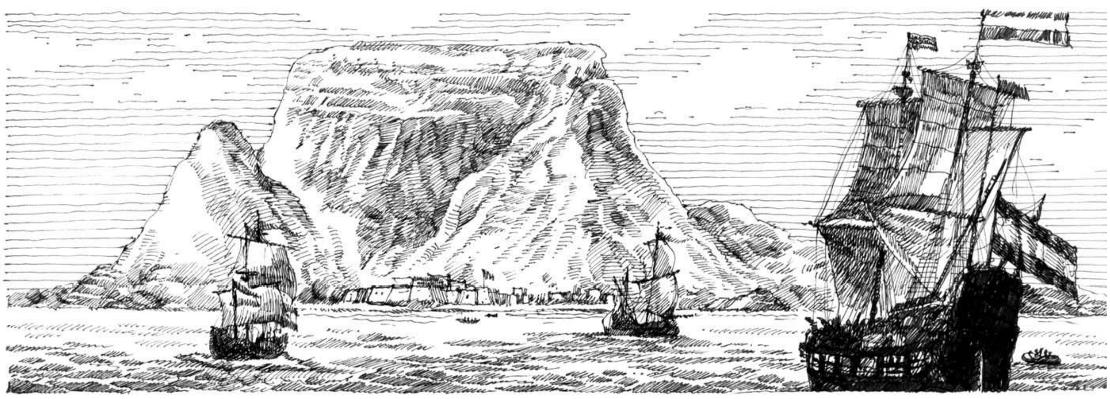
ورغم أن عالم "نيلسون" الجديد فَتَنَه تماما، فإنه كان مخيفًا بالنسبة له أن يكون وحده تمامًا في مكان غريب.

لحسن الحظ كان لدى "يونجينتابا" ولد يدعى "جستس" والذي كان أكبر من "نيلسون" بأربعة أعوام. فمارس الولدان الصيد باستخدام المقلاع، واستكشفا الريف، وتسابقا بالخيول. وذهب "نيلسون" إلى مدرسة أفضل من التي كان فيها في القرية. ودرس اللغة الإنجليزية، والتاريخ، والجغرافيا؛ لكنه تعلم الأكثر بالذهاب إلى الاجتماعات مع كبار رجال العشائر، وقد حلم "نيلسون" بأنه في يوم من الأيام ربما يكون قائدًا عظيما مثل الرجل الذي يقوم بتربيته.



وصول الأوروبيين

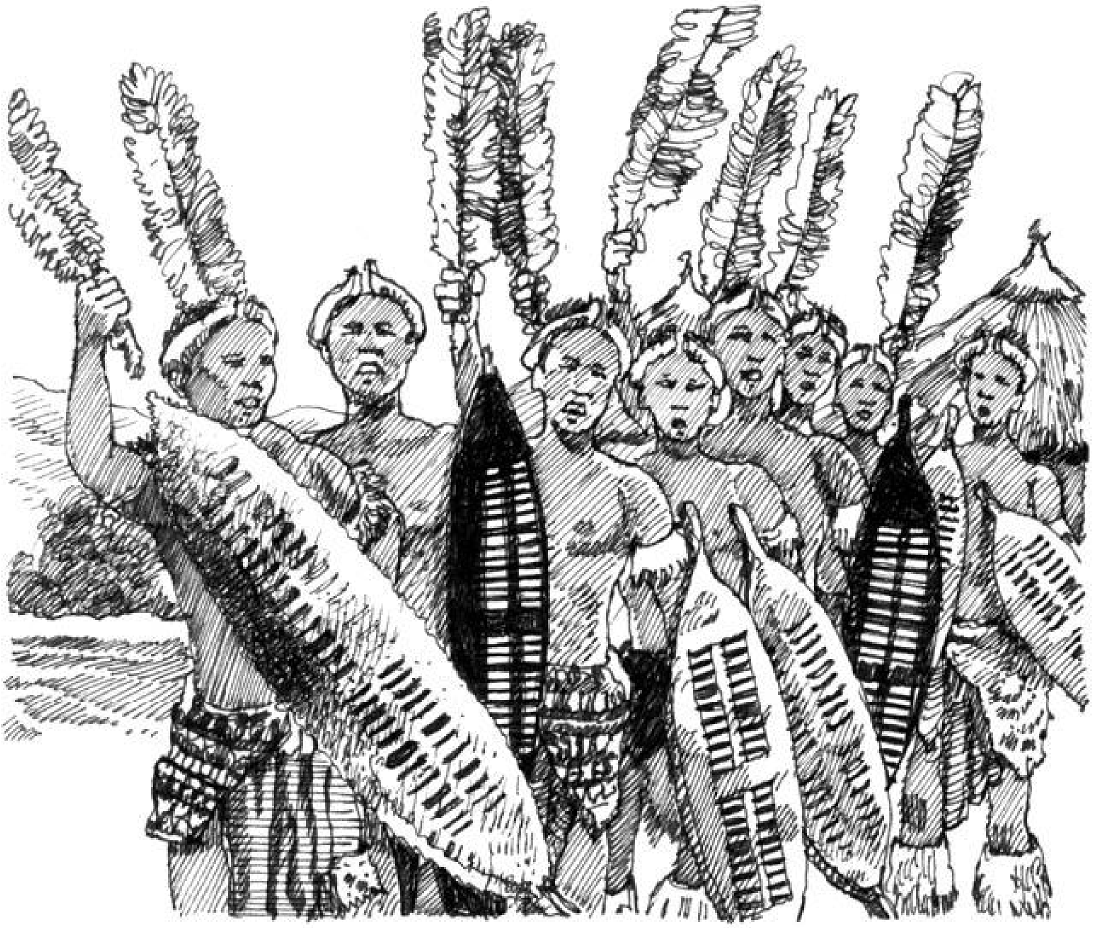
في القرن الخامس عشر، كانت الدول الأوروبية ترسل سفنًا ضخمة إلى كل مكان حول العالم. وكانت السفن المتجهة نحو الشرق التي كانت تتحرك صوب آسيا تمر في المعتاد حول الطرف الأسفل للقارة الإفريقية. وكانوا يتوقفون فيما يعرف الآن بجنوب أفريقيا لإعادة التزود بالطعام والمياه. وفي عام ١٦٤٧ تحطمت سفينة هولندية على الساحل الجنوبي الغربي. وأحب البحارة الناجون المنطقة جدا، فمكثوا وبنوا حصنًا، وبذلك جاء كثير من الهولنديين كمستوطنين للمكان، وقاموا بإبعاد السكان الأصليين عن أراضيهم، وشكل الهولنديون مستعمرتهم الخاصة، مجتمعًا في أفريقيا تحت الحكم الهولندي. ثم اكتشف الأوروبيون لاحقًا الذهب والماس في جنوب أفريقيا، وفي القرن الثامن عشر تولى البريطانيون الحكم. وتبعا لذلك توغل المستوطنون الهولنديون في الأراضي الإفريقية ليبتعدوا عن البريطانيين. وفي عام ١٩٠٢، خاض البريطانيون والهولنديون حربًا ضد بعضهما، وأصبحت مستعمرات جنوب أفريقيا تابعة للبريطانيين.



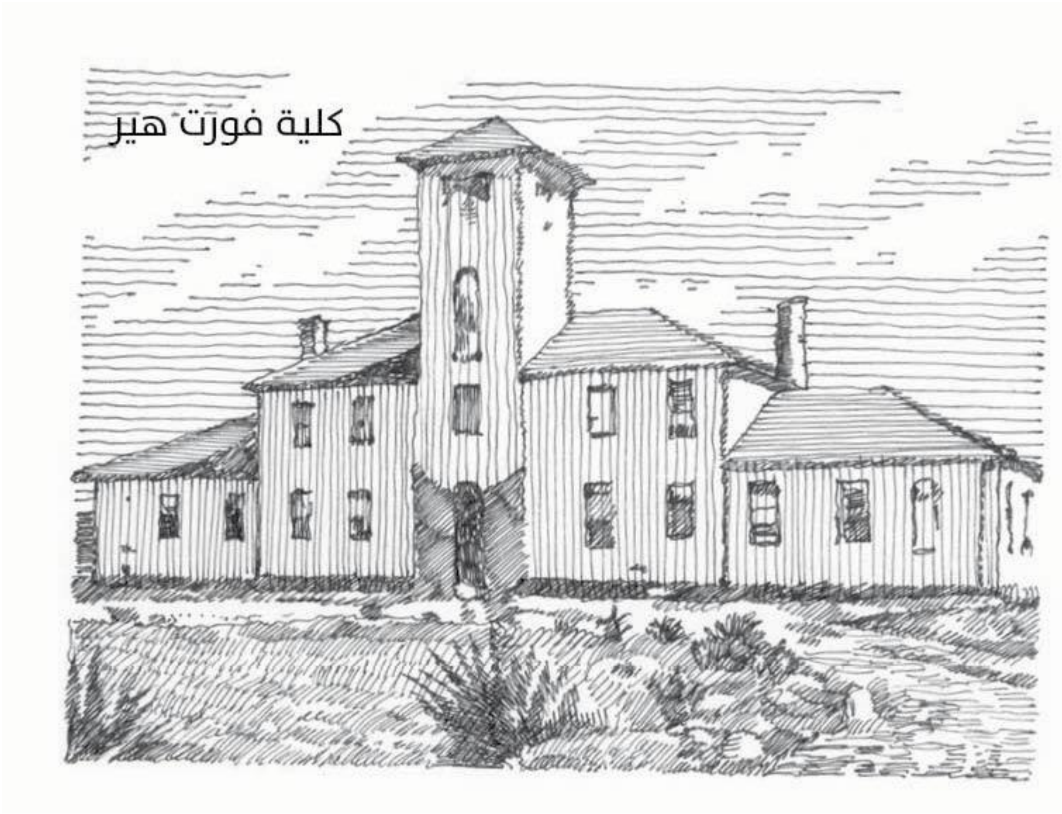
كان "نيلسون" يحب الاستماع إلى قصص الأبطال الأفارقة في الماضي، هؤلاء الرجال الذين حاربوا ضد الهولنديين والبريطانيين، وفي تلك القصص كان الجنوب أفريقيون السود يحكمون بواسطة ملوكهم مثل "يونجينتابا"، وحينما جاء الأوروبيون إلى أفريقيا قال شيوخ القبائل "كان الأوروبيون لديهم كتابهم السماوي وكانت لدينا نحن الأرض. وقالوا لنا "دعونا نصلِّ". فأغلقنا أعيننا. وحينما فتحناها، كان في أيدينا ذلك الكتاب ولكن الأرض أصبحت في أيديهم.

الفصل الثاني

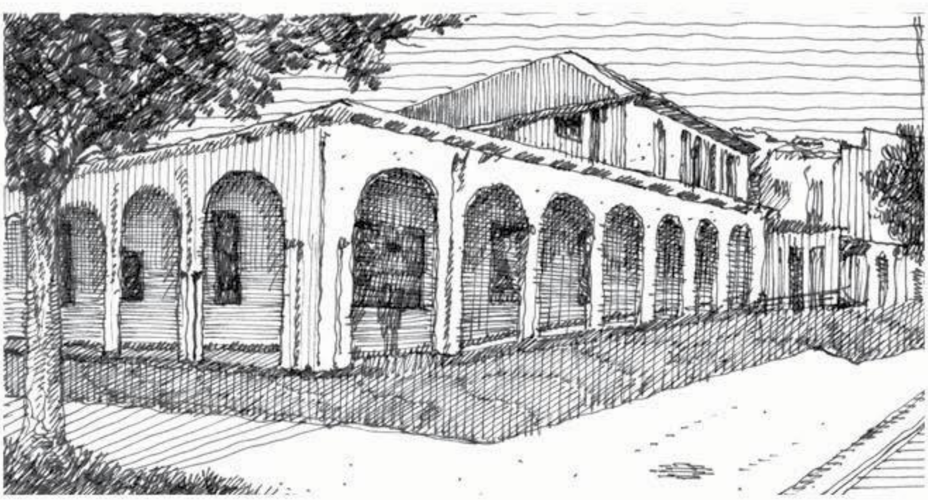
مدينة النور



حينما كان "نيلسون" في السادسة عشرة من عمره، شارك هو و"جستس" في احتفالية مهمة؛ حيث أصبحا رجلين في أعين أهل القرية. وبعد الاحتفالية، ألقى زعيم القبيلة خطابا قال فيه: " وسط هؤلاء الشباب يوجد قادة لن يحكموا أبدا، لأننا ليست لدينا السلطة لنحكم أنفسنا".

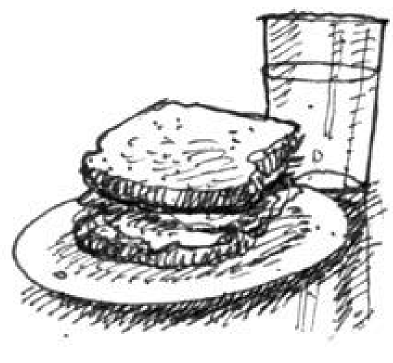


إن الحُكْم هو ما كان "نيلسون" يود القيام به تحديدًا حينما كبر، وقد التحق بمدرسة داخلية في إنجكوبو بحيث يمكنه في يوم من الأيام أن يُسدي النصح لحكام مثل "يونجينتابا"، ثم في عام ١٩٣٧ انتقل إلى هيلدتاون، وهي كلية كانت تابعة لدار العبادة، ومنها انتقل إلى فورت هير، الكلية الوحيدة التي كل طلابها من السود في البلد. كان الكثيرون من الطلاب الجنوب أفريقيين البيض يعتقدون أن كل ما يحتاج السود إلى تعلمه هو كيف يخدمون البيض، والكليات مثل فورت هير تمنح الجنوب أفريقيين السود أفكارا شريرة - هكذا كانوا يعتقدون. فهذه الكليات تجعل الأشخاص السود يعتقدون أنهم أذكياء مثل البيض ويمكنهم أن ينافسوهم في الحصول على الوظائف.



قسم شئون السكان الأصليين

وبالفعل منحت كلية فورت هير “نيلسون” أفكارًا تقدمية، وبدأ في دراسة العالم خارج جنوب أفريقيا، وخطط لأن يعمل في يوم ما في قسم شئون السكان الأصليين، والذي يطبق قوانين مثل “قوانين المرور” والتي تتطلب من كل الجنوب أفريقيين السود أن يحملوا جوازات سفرهم طوال الوقت. ولقد تمنى أن يغير القوانين بحيث تتم معاملة الأشخاص السود بشكل أفضل؛ لذلك عمل بجد في الكلية ليحقق أهدافه.

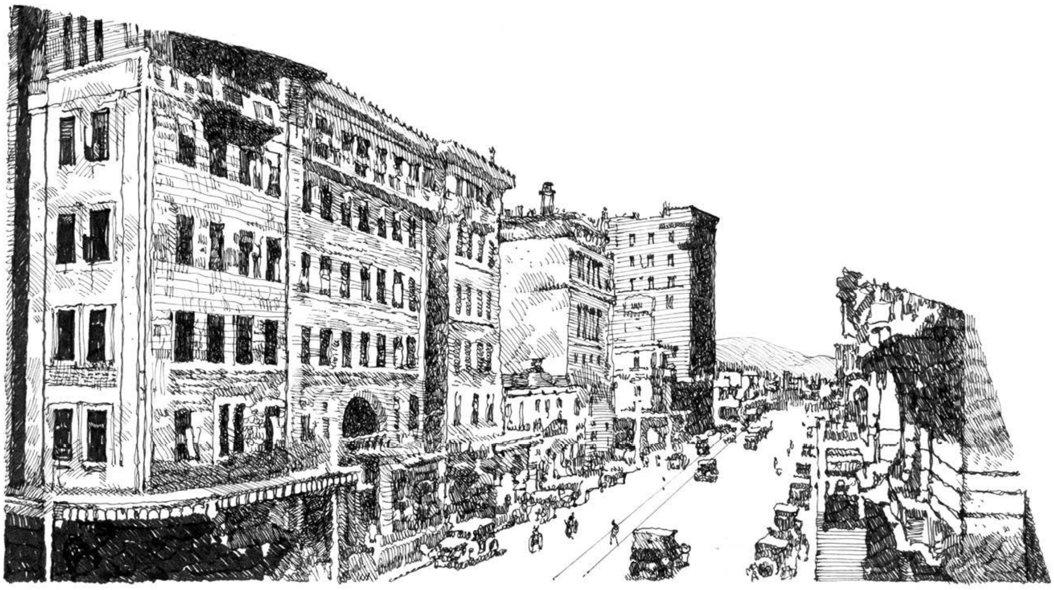


لكن في عام ١٩٤٠ استقال “نيلسون” من المجلس الممثل للطلاب اعتراضًا على الأوضاع السيئة في مساكن الطلاب، ولقد قال صديق “نيلسون” في الكلية “أوليفر تامبو” في وقت لاحق: “كان العشاء عبارة عن أربع شرائح رقيقة جدًا من الخبز، إلى جانب كوب صغير من الحليب المخفوق”. وقالت سلطات الكلية إن أي

طالب يستقيل من حكومة الطلاب سيطرد من الكلية، وحينما اكتشف ‘‘يونجينتابا’’ أن ‘‘نيلسون’’ ترك الكلية أمره بأن يعود، كما أمره أيضا بأن يتزوج.

وكان قد وجد لـ ‘‘نيلسون’’ العروس المثالية. قال ‘‘نيلسون’’ فيما بعد ‘‘كانت سمينة وكريمة’’، وبعضهم قال إنها كانت تحب ‘‘جستس’’.

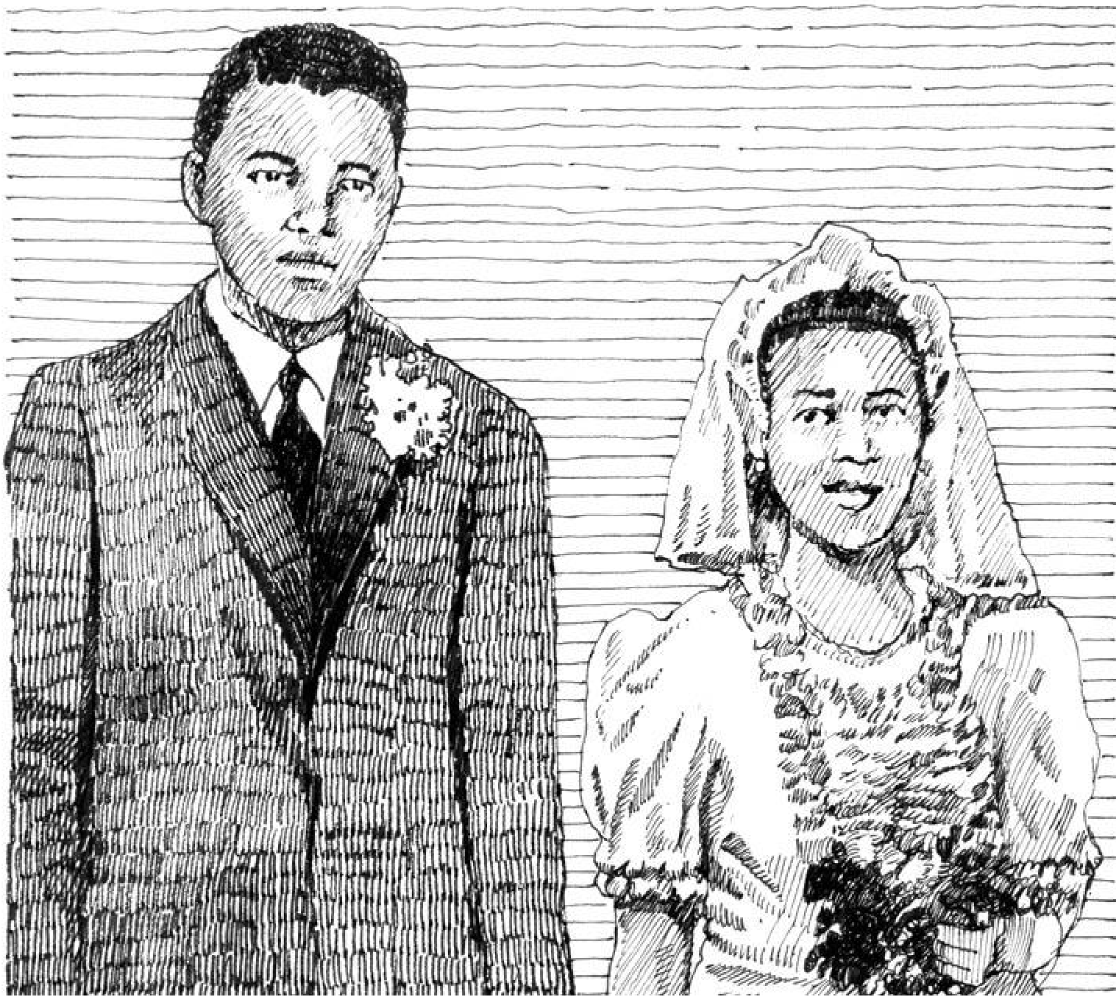
لم يكن أي من الولدين يود أن يتزوج في ذلك الحين؛ لذا هرب الاثنان إلى المدينة الكبرى في جنوب أفريقيا. بالنسبة لـ ‘‘نيلسون مانديلا’’، كانت جوهانسبرج تبدو مثل مدينة النور. ‘‘مساحة واسعة تملؤها المصابيح الكهربائية’’... هكذا دعاها.



وحصل هو و ‘‘جستس’’ على وظيفتين، لكن سرعان ما أمسكهما رجال ‘‘يونجينتابا’’، فقد كان على ‘‘جستس’’ العودة ليشغل مكان والده في يوم ما؛ لكن ‘‘نيلسون’’ أقنع أباه بالتربية أن يتركه يبقى في المدينة ويدرس القانون.

وفي جوهانسبرج، عقد ‘‘نيلسون’’ صداقة مع ‘‘والتر سيسولو’’؛ والذي كان ابنًا لعاملة نظافة وموظف حكومي أبيض.





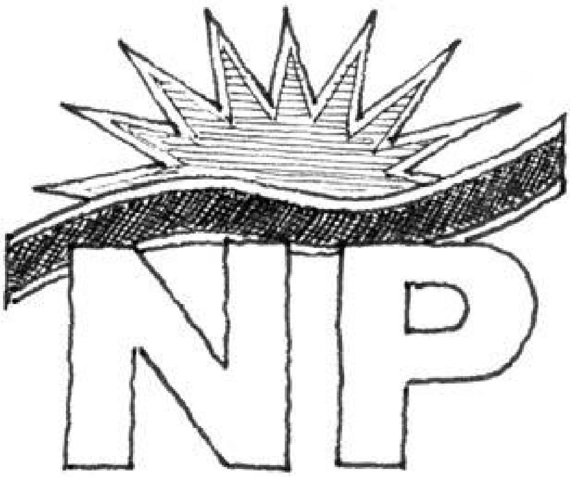
عمل ‘‘سيسولو’’ في وظائف كثيرة مختلفة، وقاد إضرابات بهدف الحصول على أجور أفضل للعمال السود. ولقد حصل ‘‘سيسولو’’ على وظيفة لـ ‘‘نيلسون’’ في شركة قانونية، كما شجعه على الالتحاق بإحدى الجامعات المحلية كطالب قانون، وتزوج ‘‘نيلسون’’ من ابنة عم ‘‘سيسولو’’ ‘‘إيفلين’’ في عام ١٩٤٤، وسرعان ما أنجبا ابنا هو ‘‘ثيمبي’’.

وهذا هو العام نفسه الذي التحق فيه ''نيلسون'' بحزب المؤتمر الوطني الأفريقي. وكلمة مؤتمر لم تكن تعني أنه كان جزءًا من الحكومة، بل كانت تشير إلى مجموعة من أشخاص كثيرين جميعهم يعملون لأجل حقوق الجنوب أفريقيين السود.

وحينما تأسس لأول مرة في عام ١٩١٢، قاد حزب المؤتمر الوطني الأفريقي الاحتجاجات ضد قوانين المرور؛ لكن بحلول نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين أصبح الحزب بلا قوة من أي نوع. ولقد أنشأ ''نيلسون'' ورفاقه مجموعة جديدة بداخل حزب المؤتمر الوطني الأفريقي أسموها رابطة شبيبة المؤتمر، والتي قادت حزب المؤتمر الوطني الأفريقي لتحدي الحكومة. ولأول مرة اتهم حزب المؤتمر الوطني الأفريقي بشكل صريح الجنوب أفريقيين البيض بإهمالهم للمطالب الملحة للجنوب أفريقيين السود، وانغمس ''نيلسون'' في النضال إلى حد أنه أصبح بالكاد يرى عائلته الصغيرة. وكان من الصعب تخيل أن الحكومة البيضاء في جنوب أفريقيا ستفعل أي شيء سيتسبب في حدوث أي ضرر للسود؛ لكنها في عام ١٩٤٨ فعلت ذلك؛ حيث بدأت نظاما وحشيا للفصل: وسيلة لإبقاء الأشخاص من ذوي الأعراق المختلفة بمعزل عن بعضهم البعض، وفي اللغة الإنجليزية فإن الكلمة الدالة على هذا النظام تعني ''الفصل العنصري''. وفي اللغة الأفريكانية، لغة الجنوب أفريقيين ذوي الأصول الهولندية، كان هذا النظام يدعى الأبارتهايد.

الفصل الثالث

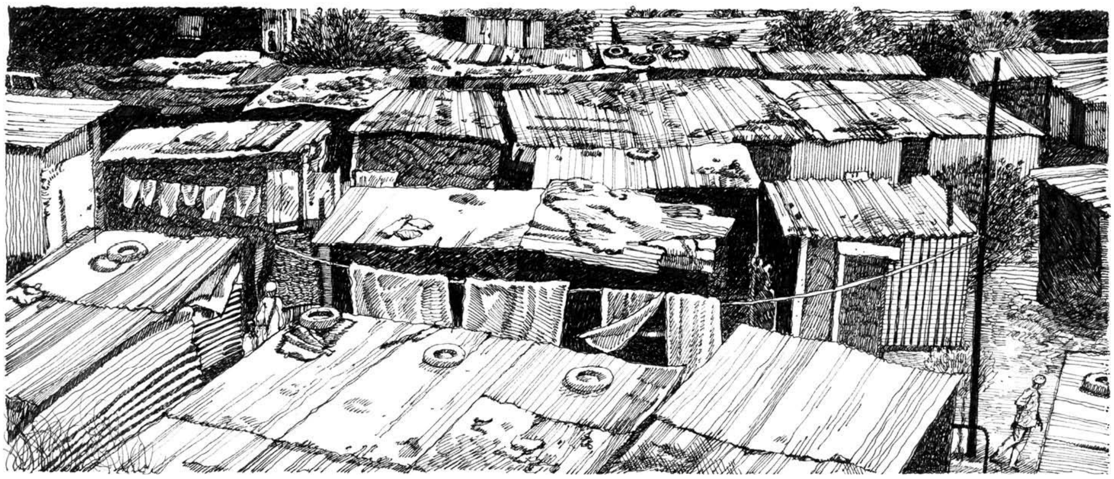
الأبارتهايد



معظم الأشخاص البيض في جنوب أفريقيا كانوا ينحدرون من المستوطنين البريطانيين أو الهولنديين، والجنوب أفريقيون ذوو الأصول الهولندية كانوا يدعَوْن الأفريكان. وقد شكلوا حزبهم السياسي الخاص بهم، الحزب الوطني، وأيضا كان يُدعى " ذا ناتس". وفي عام ١٩٤٨، حينما كان "نيلسون" في التاسعة والعشرين من عمره، فاز "ذا ناتس" بالأغلبية المسيطرة في الحكومة بفارق ضئيل.

كان "ذا ناتس" يؤمن بأن الأشخاص السود أدنى منزلة من الأشخاص البيض. وطبقا لقوانين الفصل العنصري، على كل شخص أن يتم تصنيفه تبعًا لعرقه: البيض، السود، الملونون (الأشخاص الذين كانوا من أعراق مختلطة) والهنود (الآسيويون الجنوبيون الذين جاءوا لجنوب أفريقيا من الهند). وعندما يكون هناك أي شك فيما يتعلق بالعرق الذي ينتمي إليه شخص ما، كانت تُقام اختبارات، مثل دفع قلم رصاص بداخل الشعر. فإذا علِق القلم، كان هذا الشخص ملونا وليس أبيض. والزواج بين الأعراق المختلفة أصبح غير شرعي، والأوتوبيسات والمدارس كانت تُميز تبعا للعرق.



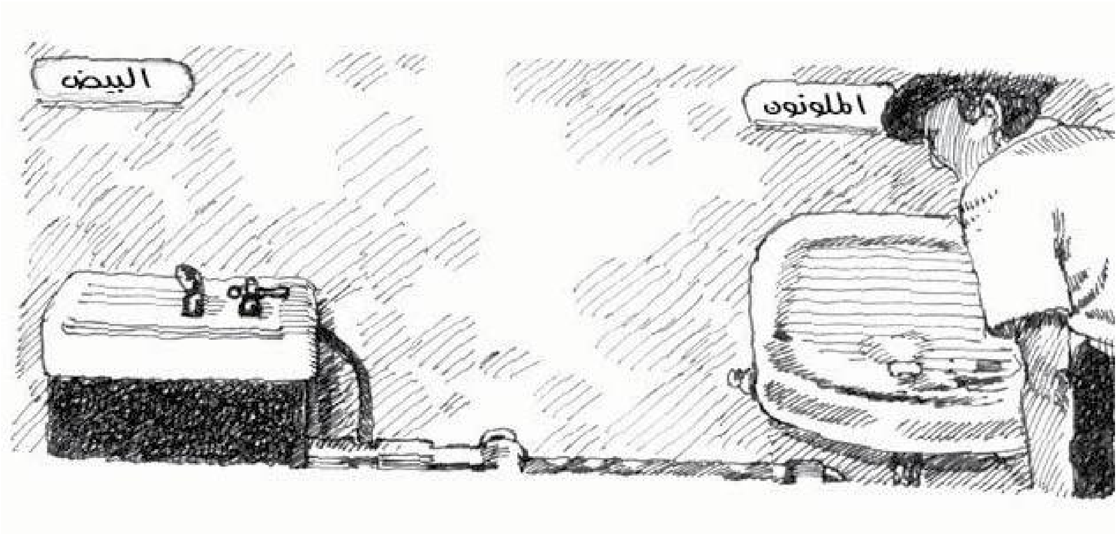


وكثير من تلك القوانين كانت تعكس بالفعل الطريقة التي كان الناس يعيشون بها، لكن متى ما أصبحت قانونًا رسميًا، كان تغيير أي شيء يتعلق بالجنوب أفريقيين السود يزداد صعوبة.

وقد عاش معظم الجنوب أفريقيين السود خارج حدود المدينة في الأحياء المسماة بالبلدات، وكانت البلدات مكتظة بالسكان، وكانت المنازل في الغالب عبارة عن أكواخ بسيطة بدون كهرباء أو أنابيب مياه بداخلها. والعمال السود كانوا يتركون البلدات ليعملوا لصالح الأشخاص البيض في المدينة خلال النهار، ثم يُجبرون على العودة إلى البلدات بحلول الليل.

الفصل العنصري في الولايات المتحدة

كانت قوانين جيم كرو تُطبق في كثير من أنحاء الجنوب الأمريكي منذ عام ١٨٧٧ وحتى منتصف ستينيات القرن العشرين. هذه القوانين المحلية والخاصة بالولايات كانت تُبقي الأشخاص السود والأشخاص البيض منفصلين عن بعضهما. من جوانب كثيرة، لم تكن هذه القوانين مختلفة تمامًا عن الأبارتهايد، ففي ظل قوانين جيم كرو، لم يكن من حق الأمريكيين السود أن يجلسوا على المقاعد المخصصة للبيض، أو أن يذهبوا لمدارس البيض، أو حتى يشربوا من نوافير المياه الخاصة بالبيض. وأيضا كان متوقعا من الأشخاص السود أن يتصرفوا بطريقة معينة في وجود الأشخاص البيض. فالشخص الأسود كان محرما عليه أن يصافح الشخص الأبيض باليد. كما كان على الأشخاص السود مخاطبة البيض بشكل رسمي باستخدام ألقاب مثل "سيد" و "آنسة" أو "سير" و "مدام" فيما يخاطب الأشخاص البيض السود فقط بأسمائهم الأولى. وعلى الطريق، كان لدى السائقين البيض حق المرور عند كل تقاطعات ومفارق الطرق.



حينما علم "نيلسون مانديلا" وأصدقاؤه أن حزب ذا ناتس فاز بالانتخابات، كانوا مصعوقين.



فلسنوات كان حزب ذا ناتس يلقي الخطب بشأن ما أسماه ''الخطر الأسود'' والتفوق الأبيض. فأدرك ''نيلسون'' أنه ليس بمقدوره أبدا أن يعمل بالحكومة كما كان يأمل. وكان عليه هو وبقية رابطة شبيبة المؤتمر أن يعاودوا النضال من خلال الاحتجاجات وحركات العصيان المدني، والعصيان المدني يعني خرق القوانين بشكل سلمي لبيان أن القوانين ظالمة. وفي عام ١٩٥٠ جعلت الحكومة البيضاء كل أنواع الاحتجاجات، السلمية وغير السلمية، غير شرعية.

كان ''نيلسون'' قد أصبح معروفًا كقائد للاحتجاجات - بكلمات أخرى مشاكس. وقد كان وفيا للاسم الذي دُعي به منذ ميلاده، هزاز الشجر. فافتتح هو و ''أوليفر تامبو''، الذي قابله لأول مرة في فورت هير، شركة قانونية سوداء - كانت الأولى من نوعها في جوهانسبرج- وقاما بتمثيل السود الفقراء المدعى عليهم في المحاكم. كان موكلوهم متهمين بكل أنواع الجرائم؛ حيث كان الدخول من باب مخصص للأشخاص البيض جريمة. وكان كونك عاطلا جريمة، وكونك تعمل في المكان الخاطئ جريمة. وقد مثل ''نيلسون'' أيضا الأشخاص الذين تم نزع ملكية بيوتهم وطردهم منها؛ لأن الأحياء السكنية التي كانوا يعيشون بها أُعلن أنها مناطق خاصة بالبيض.

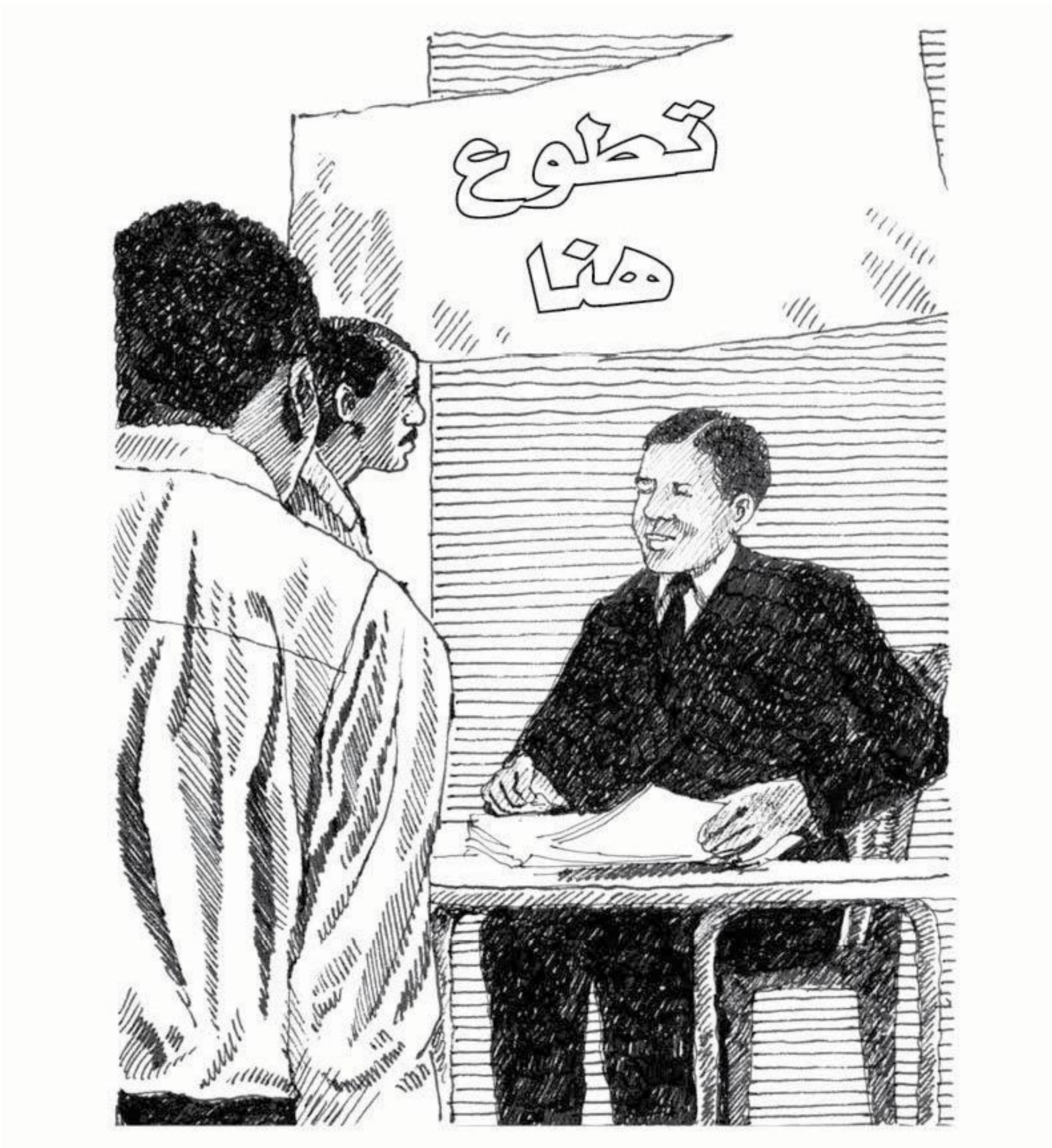
كان ''نيلسون'' شخصية قوية في قاعة المحاكم، مدافعًا عن الحقوق المدنية. كان لديه مظهر صاحب السلطة بشكل فطري؛ لكن وبينما يفضي مزيدًا من الوقت مدافعًا عن موكليه، كانت رؤيته لعائلته تقل شيئا فشيئًا. وحينما جاء للمستشفى ليرى ابنه المولود حديثا ''ماكجاثو''، سأله ''ثيمبي'' ابنه ذو الخمس سنوات ''أين يعيش أبي؟''.



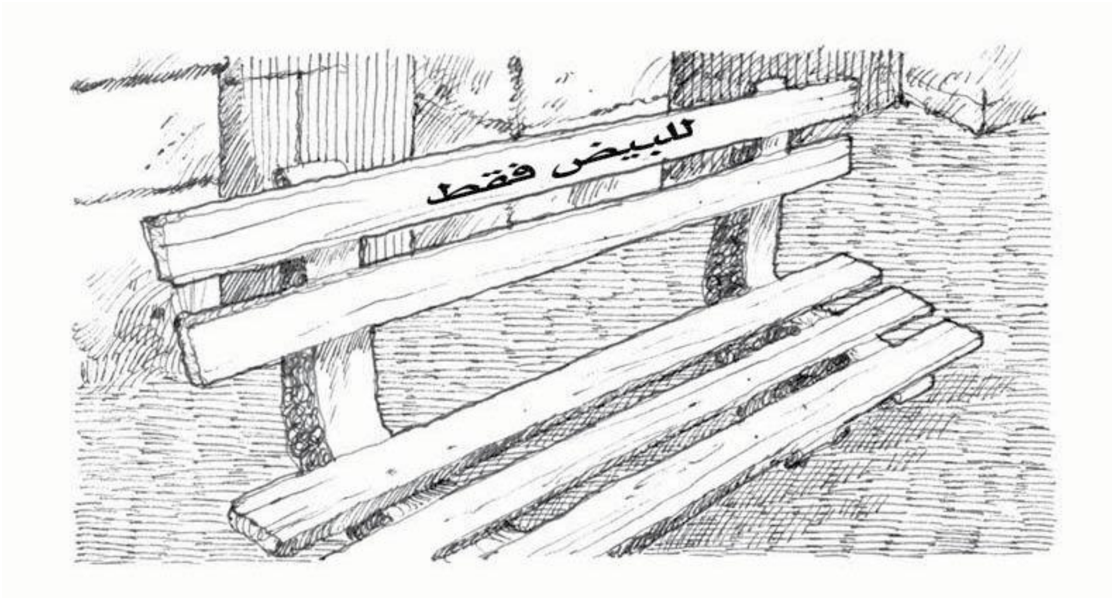
الفصل الرابع

حملة التحدي

في عام ١٩٥٠، انتُخب "نيلسون" رئيسا لرابطة شبيبة المؤتمر، وفي عام ١٩٥٢ أرسل حزب المؤتمر الوطني الأفريقي رسالة إلى رئيس الوزراء تقول بما أن كل شكاوى المؤتمر الوطني الأفريقي لم تجد آذانا صاغية، فإنهم سيقومون باتخاذ إجراءات. وإذا لم تلغِ الحكومة - أو تبطل - قوانين الفصل العنصري بحلول يوم ٢٩ فبراير، ستكون هناك حملة تحد. بكلمات أخرى، الأشخاص السود سيرفضون طاعة قوانين الفصل العنصري.



وفي هذه المرة لم يتم تجاهل شكاوى المؤتمر الوطني الأفريقي، بل تم رفضها، وحذرت الحكومة من أن أي شخص سيكسر القانون سيعاقب بقسوة، فربما يتم القبض عليه أو يجبر على دفع غرامة كبيرة. وبعض الأشخاص تم ضربهم. على أية حال، قاد ''نيلسون'' الإضراب، وجمع الأموال، وحشد المتطوعين لخرق قوانين الفصل العنصري بشكل سلمي. على سبيل المثال، طُلب من البعض الجلوس على المقاعد المخصصة للبيض فقط، أو الوقوف في صفوف البيض فقط. سافر ''نيلسون'' في كل أنحاء المقاطعة متحدثًا للعمال والقرويين، ومشجعًا لهم على النضال للحصول على حقوقهم، ولقد احترموا الرجل الذي دعوه ''مانديلا''.

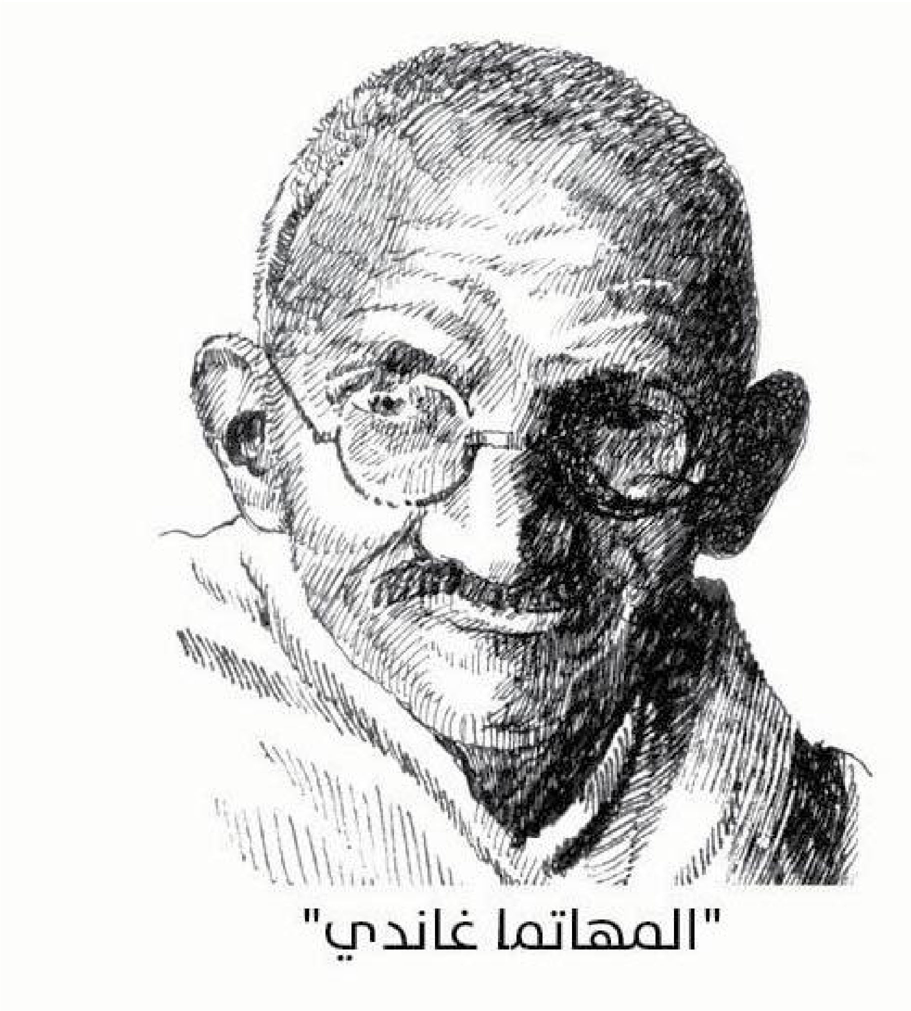


حملة التحدي، كما تم تسمية هذا الاحتجاج، ستكون سلمية، ومهما فعلت الحكومة لهم، فلن يرد المحتجون العنف بالعنف، وقد حذر ''مانديلا'' أنهم ربما يُصابون، لكن عليهم السيطرة على غضبهم وخوفهم. فلو بادروا بالهجوم، ستسحقهم الحكومة بكل سهولة.

كان تشجيع أي شخص على خرق قوانين الفصل العنصري عملا غير شرعي، ومع ذلك حشد ''نيلسون'' والمؤتمر الوطني الأفريقي ما يزيد عن ٨٥٠٠ متطوع.
وكثيرون منهم ارتدوا شارات للذراع بالألوان الأخضر، والذهبي، والأسود، ألوان حزب المؤتمر الوطني الأفريقي: فاللون الأخضر يمثل الأرض، والذهبي يمثل ثرواتها، والأسود يمثل الشعب.



المقاومة السلمية



تحدث "المقاومة السلمية" حينما يخرق الناس بشكل سلمي القوانين الجائرة، وهدف المقاومة السلمية إنهاء حالة الظلم برفض طاعة القوانين غير العادلة، وقد استُخدِم هذا النوع من المقاومة بشكل فعال من قِبل الزعيم الهندي "المهاتما غاندي" في نضاله لتحقيق الاستقلال الهندي من البريطانيين في عشرينيات، وثلاثينيات، وأربعينيات القرن العشرين كما استُخدمت أيضا في الخمسينيات والستينيات بواسطة قادة الحقوق المدنية مثل الدكتور "مارتن لوثر كينج" الابن للحصول على المساواة للسود. على سبيل المثال، سيجلس نشطاء الحقوق المدنية إلى طاولات الطعام التي كانت مخصصة للبيض فقط، وسيجلسون حتى لو لم يقم أي شخص بخدمتهم. وسيجلسون حتى يأتي البوليس لجرهم بعيدا، أحيانا إلى السجن. والمقاومة السلمية يمكن أن تكون وسيلة قوية لتغيير القوانين الجائرة. ورؤية الأشخاص وهم يُعتقلون ويُهاجمون فقط لأنهم يريدون المساواة يمكن أن تغير الرأي العام لصالحهم.



"مارتن لوثر كينج"



وقد علمت دول أخرى علمت بما يحدث ونظرت بعين الإعجاب إلى شجاعة المحتجين؛ لكن حكومة جنوب أفريقيا اتخذت إجراءات صارمة تجاههم. تم اعتقال المحتجين وأحيانا الاعتداء عليهم بالضرب. واقتحمت قوات البوليس المنازل واعتقلت الزعماء السود. وفيما يتعلق بـ "نيلسون مانديلا"، تم منعه من الانضمام إلى أية جماعة، أو كتابة أي شيء بغرض النشر في الصحف أو المجلات. ولم يكن بمقدوره الذهاب إلى أي مطار أو مدرسة، أو حتى مغادرة حيه السكني في جوهانسبرج.

وحملة التحدي تم سحقها، لكن الآلاف من الأعضاء الجدد التحقوا بحزب المؤتمر الوطني الشعبي الأفريقي، ورأى المواطنون السود أن بمقدورهم الوقوف معًا ضد الحكومة البيضاء، كما رأوا أيضا إلى أي مدى كانت الحكومة راغبة في إيقافهم. وقد فهموا الآن أنه ربما عليهم أن يموتوا للحصول على حقوق مساوية، وبالنسبة للكثيرين من الجنوب أفريقيين السود، كانت تلك بمثابة تضحية كانوا راغبين في تقديمها.



وفي عام ١٩٥٣ أُعيد انتخاب حزب ذا ناتس، وقامت الحكومة بحظر المدارس الدينية مثل المدرسة التي التحق بها "نيلسون" وهو صغير، لأن هذه المدارس كانت تعلم الأطفال السود بالطريقة نفسها التي كان الأطفال البيض يتعلمون بها - بكلمات أخرى، كانوا يعاملونهم مثل الأنداد. ومررت الحكومة قانونًا للتعليم: كل الأطفال السود سيُعلَّمون أنهم أدنى في المنزلة من الأطفال البيض وأنهم يصلحون فقط لخدمتهم، والطفل الأسود كان يتعلم القدر الكافي ليصبح بوابًا أو عاملًا بالمنزل.



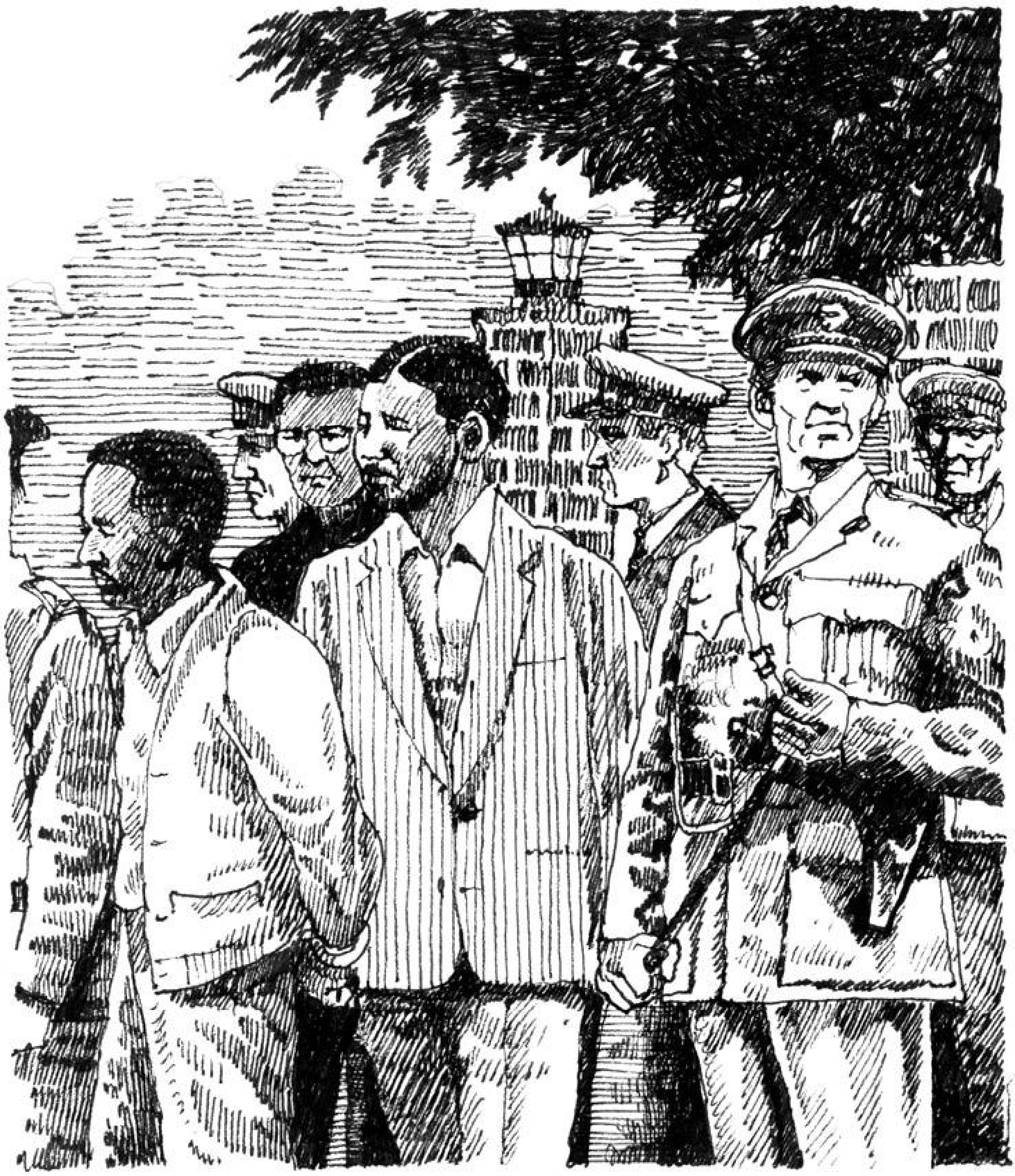
وفي عام ١٩٥٥، دعا حزب المؤتمر الوطني الأفريقي إلى مؤتمر شعبي للموافقة على وثيقة للحقوق لكل الجنوب أفريقيين، أيا كان عرقهم. وقد ساعد صديق "نيلسون" "والتر سيسولو" على تنظيم الاجتماع، وكان هناك أكثر من ثلاثة آلاف مندوب من كل أنحاء جنوب أفريقيا، والذين اجتمعوا في يومي ٢٥ و٢٦ يونيو في ملعب كرة قدم خارج جوهانسبرج. وسافر الناس أميالًا لحضور هذا المؤتمر، وجلسوا على البطاطين المفروشة على العشب. وحمل الأشخاص من كل الأعراق لافتات تقول " حرية التعبير" أو " نود الأفضل". وعلى رصيف أمام الحشد المجتمع كانت هناك عجلة بإطار مقسم إلى أربعة أجزاء ترمز للوحدة، وهذه الأجزاء الأربعة مثلت المجموعات السياسية الرئيسية المناهضة لنظام الفصل العنصري، فيما مثل المؤتمر الوطني الأفريقي محور العجلة الموجود في المركز.

COPE

مؤتمر الشعب

وقد سميت وثيقة الحقوق بميثاق الحقوق، وقرئ الميثاق بشكل علني بالإنجليزية وبلغتين أفريقيتين، اللغة الكوسية واللغة السوتية. وكل نقطة تمت مناقشتها، مثلما كان يحدث في الاجتماعات القبلية في زمن طفولة "نيلسون"، وكان المزاج العام مبهجًا حتى وصول قوات البوليس المسلحة. فقاموا بانتزاع الميكروفون ومنعوا أي شخص من المغادرة، وألقوا القبض على قيادة حزب المؤتمر الوطني الأفريقي متضمنة "أوليفر تامبو"، و"والتر سيسولو" و "نيلسون مانديلا".

وقد اتُّهم الرجال الثلاثة بالخيانة، وإذا تم إثبات أنهم مذنبون، فقد يتم إعدامهم.



الفصل الخامس

شاربفيل



لم يُضطر "نيلسون" ورفيقاه المدعى عليهم أن يعيشوا في السجن خلال المحاكمة، فقد سُمح لهم بالخروج بكفالة. وكان عليهم أن يدفعوا مالا للحكومة كتعهد بأنهم لن يهربوا إلى بلد آخر. وحينما عاد "نيلسون" للبيت وجده خاويا. فقد غادرت زوجته "إيفلين" المنزل وأرادت أن تنفصل عنه، وقال "نيلسون" فيما بعد: "لم يكن بمقدوري التخلي عن حياتي في النضال، وهي لم تستطع أن تتعايش مع إخلاصي لشيء آخر غيرها وغير العائلة." ولقد انفصلا في عام ١٩٥٨.



وقد استمرت ''محاكمة الخيانة'' كما سُميت، من عام ١٩٥٦ حتى عام ١٩٦١، وحينما لا يكون ''نيلسون'' بالمحكمة لحضور جلسات المحاكمة، كان ينغمس في عمله القانوني مع ''أوليفر تامبو''؛ لكن التهم الموجهة لـ ''تامبو'' أُسقطت بشكل مفاجئ بعد العام الأول، الأمر الذي منحه حرية أكبر لمساعدة الجنوب أفريقيين السود المتهمين بارتكاب الجرائم. وبينما تمر الشهور، كانت التهم الموجهة لمزيد من المُدعى عليهم يتم إسقاطها، وبحلول عام ١٩٥٩، كان هناك ثلاثون شخصا من ١٥٦ مدعى عليه لا يزالون يواجهون التهم في هذه المحاكمة، ومن بينهم ''نيلسون''.

في أحد الأيام خلال المحاكمة، لمح ''نيلسون'' امرأة تنتظر الأوتوبيس. كانت جميلة، وأراد رؤيتها مرة ثانية، لكن لم يكن لديه أية فكرة من كانت هذه المرأة. وبعد ذلك ببضعة أسابيع، جاءت هذه المرأة لمكتبه بصحبة أخيها لطلب مساعدة قانونية.



كان اسمها " نومزامو وينيفريد ماديكيزيلا"- "ويني" اختصارا. كان اسمها يعني "التي تُكافح"، وكانت من أوائل الإخصائيين الاجتماعيين السود في المستشفيات في جنوب أفريقيا. فطلب منها "نيلسون" الخروج لتناول وجبة من الطعام الهندي معه. وعلى عكس زوجة "نيلسون" السابقة "إيفلين" كانت "ويني" متحمسة لما يتعلق بحزب المؤتمر الوطني الأفريقي والشئون السياسية، وبعد هذا الموعد الأول بينهما، تقدم للزواج من "ويني"، وقد وافقت على طلبه! وتزوجا في ١٤ يونيو عام ١٩٥٨. وقد أحبت "ويني" أن تشاهد زوجها وهو يلقي الخطابات أو يتجادل بشأن الحقوق المدنية، وكانت تحضر الاحتجاجات وتعرضت لإلقاء القبض عليها. ولقد أنجبت هي و"نيلسون" بنتا هي "زيناني" (تُدعى "زيني") في عام ١٩٥٩.

وفي هذه الأثناء، كان حزب المؤتمر الوطني الأفريقي يتغير، وكان "نيلسون" يحلم بجنوب أفريقيا يعيش فيها البيض والسود معا كأصدقاء. ولقد كان يعتقد أن المؤتمر الوطني الأفريقي عليه أن يتواصل مع المواطنين البيض الذين يناهضون الفصل العنصري، لكن كثيرين في المؤتمر الوطني الأفريقي لم يكونوا راغبين في العمل مع الأشخاص البيض؛ فلم يكونوا يثقون بالجنوب أفريقيين البيض، ولم يكونوا راغبين في الوصول لتسوية مع حكومة الفصل العنصري البيضاء. وفي عام

١٩٥٩، انفصل قائد الحقوق المدنية، ‘‘روبرت سوبوكو’’ عن المؤتمر الوطني الأفريقي، وأسس ‘‘مؤتمر كل الأفارقة’’، وكان شعاره ’’ أرضنا’’.



"روبرت سوبوكو"

وفي عام ١٩٦٠، طالب مؤتمر كل الأفارقة من السود أن يتقدموا بدون أن يحملوا معهم تصاريح مرورهم من رجال الشرطة وأن يتم القبض عليهم عن عمد، فقد كانوا يأملون أن السجون ستغص بهم إلى حد أن الحكومة لن يكون لديها خيار آخر سوى التخلص من قوانين المرور العنصرية. وقد رأى ‘‘نيلسون’’ أن هذا النهج سيعرض الناس للخطر ولن يفيد كثيرا.


مؤتمر كل الأفارقة



ومعظم الناس الذين شاركوا في حملة مؤتمر كل الأفارقة تعرضوا للاعتقال بدون عنف؛ ولكن ليس من كانوا في مدينة شاربفيل، والتي تبعد نحو خمسين ميلا من جوهانسبرج. وفي ٢١ مارس ١٩٦٠ اجتمع سكان مدينة شاربفيل السود للاحتجاج على قوانين المرور. وصرح البوليس بأن عدد الجمهور المحتشد كان عشرين ألف شخص، فيما قال آخرون إنه كان حوالي خمسة آلاف شخص. وقال شهود عيان إن الحشد كان هادئا، ولم يكن لديهم بالتأكيد أية بنادق أو أسلحة أخرى، فيما قال البوليس إن المحتجين كانوا مسلحين بالعصي والأحجار، وقد وصلت أعداد إضافية من رجال البوليس لدعم ضباط شاربفيل، بحيث وصل عدد الضباط القائمين على تنفيذ القانون إلى نحو ثلاثمائة ضابط.



وقد حاول البوليس أن يلقي القبض على زعماء مؤتمر كل الأفارقة، لكن الحشد دفعهم إلى الأمام، فقام رجال البوليس بدفعهم للخلف، ثم دوت طلقتان ناريتان تبعهما إطلاق نار لمدة أربعين ثانية. وأطلق البوليس أكثر من سبعمائة طلقة نارية تجاه الجمهور المحتشد، فصرخ الناس وتفرقوا، ورفع الأطفال أياديهم فوق رءوسهم لحماية أنفسهم. وعندما توقف إطلاق النار، كان هناك على الأرض تسعة وستون شخصا موتى أو يحتضرون، و١٨٠ آخرون مصابين بشكل خطير، ومن بينهم إحدى وثلاثون امرأة وتسعة عشر طفلا. ومعظم المقتولين أُطلق الرصاص عليهم في ظهورهم في أثناء محاولتهم للهرب من البوليس، فيما لم يصب أي من رجال البوليس بأية إصابات خطيرة. وقد وصف أحد أعضاء حكومة جنوب أفريقيا البيضاء الحادث بأنه " تدخل بوليسي عادي"، فيما وصف بقية العالم ما حدث بأنه مجزرة.

الفصل السادس

تحت الأرض

انتشرت صور شاربفيل حول العالم - وهكذا كان يبدو نظام الفصل العنصري. خارج جنوب أفريقيا تمت إدانة حوادث القتل، وألقت الأمم المتحدة باللوم على حكومة جنوب أفريقيا بسبب ما حدث. وسحبت الاستثمارات الأجنبية أموالها خارج جنوب أفريقيا، فيما أعلنت الحكومة حالة الطوارئ، والآن يمكن للبوليس أن يعتقل أي شخص يُشتبه في قيامه بأي سلوك ضد الحكومة- ولم يكن هناك حاجة لوجود دليل على ذلك، وكل الاجتماعات العامة أصبحت الآن غير قانونية.



كان لشاربفيل تأثير هائل على "نيلسون" وبقية أعضاء المؤتمر الوطني الأفريقي، وتحدث "نيلسون" و "أوليفر تامبو" في عام ١٩٥٩ عمَّا ينبغي عليهم عمله في حال حدوث أزمة حرجة كهذه، وفكرا في أنه ينبغي على أحدهما أن يغادر جنوب أفريقيا للحصول على دعم لقضيتهم حول العالم. لكن كانت هناك حاجة كذلك

لوجود زعماء المؤتمر الوطني الإفريقي الأقوياء بداخل البلاد، فقرروا أن "تامبو" ينبغي أن يكون الشخص الذي يغادر جنوب أفريقيا، فيما سيبقى "نيلسون".



في اليوم التالي حضر البوليس إلى منزل آل مانديلا، وأمام ناظري "ويني" الحامل و"زيناني" الصغيرة، تم إلقاء القبض على نيلسون. وظل في السجن لمدة خمسة أشهر بدون أن يُتهم بارتكاب أية جريمة، ووُلدت ابنته الثانية "زيندزيسوا" (تُدعى زيندزي) في ديسمبر عام ١٩٦٠. وفي النهاية، اتُهم بأخطر جريمة ممكنة- محاولة الإطاحة بالحكومة.


Umkho
we Siz



في ٢٩مارس عام ١٩٦١، وبعد عام واحد من وقوع حوادث قتل شاربفيل المفزعة، حصل "نيلسون مانديلا" والمدعى عليهم الآخرون في محاكمة الخيانة على البراءة في نهاية المطاف، وقال القاضي الرئيسي في هيئة المحكمة الثلاثية إنه برغم أنهم قد خرقوا القانون، فإنه لم يستطع إيجاد دليل على أنهم كانوا يحاولون الإطاحة بالحكومة. وخلال الشهر نفسه، عُقد مؤتمر حقوق مدنية في بيترماريتزبرج بجنوب أفريقيا. وكان نيلسون يخطط لأن يعمل بشكل سري. وبعد أن ترك عائلته، كان يختبئ مع أصدقائه، فينام خلال النهار، ويخرج فقط في المساء. وكان يلتقي بشكل سري مع الصحفيين. وفي المقابلات الصحفية، شرح أن شاربفيل غيرت الطريقة التي كان يفكر بها بشأن الاحتجاجات. قال: " في ذهني أننا نغلق فصلا فيما يتعلق بهذا السؤال الخاص بسياسة عدم استخدام العنف". فالجنوب أفريقيون السود حاولوا أن يستخدموا الأسلوب غير العنيف لإنهاء الفصل العنصري، لكن الأحداث مثل شاربفيل أظهرت أن ذلك لم يحقق نجاحا.

فحكومة جنوب أفريقيا لم يكن لديها مشكلة في قتل المحتجين السلميين، لذلك غير "نيلسون" والمؤتمر الوطني الأفريقي الإستراتيجيات. فكانت هناك حاجة لمقاومة مسلحة، لذا تشكلت مجموعة جديدة، وسُميت أومكهونتو ويه سيزويه أو رمح الأمة، وكان "نيلسون" هو القائد العام لها. ورغم أن المجموعة الجديدة لم تكن راغبة في قتل الأشخاص، فإنها كانت على استعداد لتدمير محطات توليد الطاقة، والسكك الحديدية، وخطوط التليفون. ومن خلال عرقلة إدارة شئون البلاد، كانت مجموعة الرمح تأمل أن تجبر الحكومة البيضاء على إنهاء الفصل العنصري. فاختبأ "نيلسون" مع قادة آخرين للمؤتمر الوطني الأفريقي مثل "والتر سيسولو" في مزرعة ليليسليف في ريفونيا. ولتفادي الاعتقال، كان يرتدي ملابس تنكرية، وفي يوم آخر يكون فتى توصيل، وفي اليوم التالي يكون طاهيا. وكان يرتدي الرداء السروالي المغبَّر للبستاني أو المسبحة والوجه المطلي لمعالج قَبَلي. وكانت له محاولات للفرار غاية في الصعوبة. وفي إحدى المرات تعرف عليه حارس أسود- لكن الرجل ببساطة أشار إليه بعلامة الإبهام المرفوع الخاصة بالمؤتمر الوطني الأفريقي واستدار للناحية الأخرى. وأيا كان الحارس، فقد أراد أن يظل "نيلسون" طليقا. وكانت الحكومة تكره "نيلسون" لأنه كان يفوقهم ذكاء وحيلة.



ثم نفد حظ ''نيلسون''. ففي ٥ أغسطس عام ١٩٦٢، أوقف البوليس سيارة. وفي مقعد الراكب كان هناك رجل أسود يرتدي زي سائق. كان هذا الرجل هو ''نيلسون''. وحاول أن يقنع رجل البوليس أن اسمه هو ''ديفيد موتساماي''، لكن رجل البوليس لم يصدقه، وتم اعتقاله.

بطريقة ما كان البوليس يعرف أن سيارة ''نيلسون'' كانت ستمر بهذه البقعة في هذا اليوم، ولم يعرف أحد من الذي خانه. وُحكم على ''نيلسون'' بخمس سنوات مع الأشغال الشاقة. وبينما كان البوليس يقتاده بعيدا كان الحشد المتجمع يهتف '' تشوتشولوزا مانديلا''

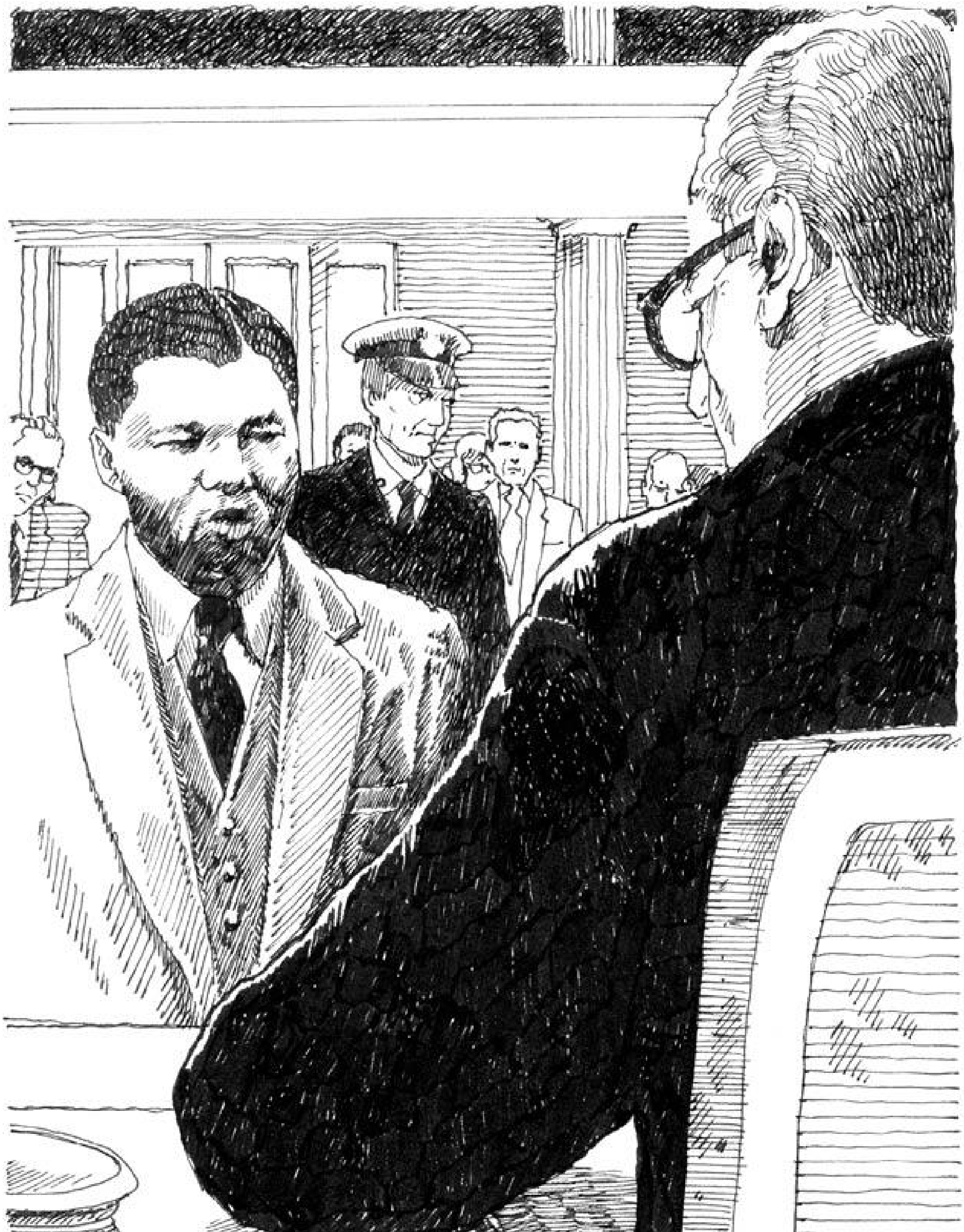
("ناضِل يا مانديلا").

الفصل السابع

جزيرة روبن

بينما كان "مانديلا" في سجنه، قام البوليس بتفتيش مزعة ليليسليف واعتقل "والتر سيسولو" وأعضاء آخرين في مجموعة رمح الأمة. ولحسن الحظ أن "أوليفر تامبو" كان خارج جنوب أفريقيا، وحينما سمع بالاعتقالات علم أنه لم يكن يستطيع العودة، لكنه كان مصممًا أكثر من أي وقت مضى على أن يساعد أصدقاءه.

في أكتوبر ١٩٦٣، تمت محاكمة "نيلسون" مرة أخرى، وتم اتهامه بارتكاب ٢٢٢ عملًا تخريبيًا ما بين عامي ١٩٦١ و ١٩٦٣. والتخريب يعني أن تدمر أو تعطل الأشياء بحيث لا تعمل. فعلى سبيل المثال، كان لدى مجموعة الرمح خطط للقيام بتفجيرات في أقسام البوليس ومنشآت حكومية أخرى (لكن ليس في الأماكن التي يتواجد بها الناس). وطالبت الحكومة بأقصى عقوبة: الإعدام شنقًا.



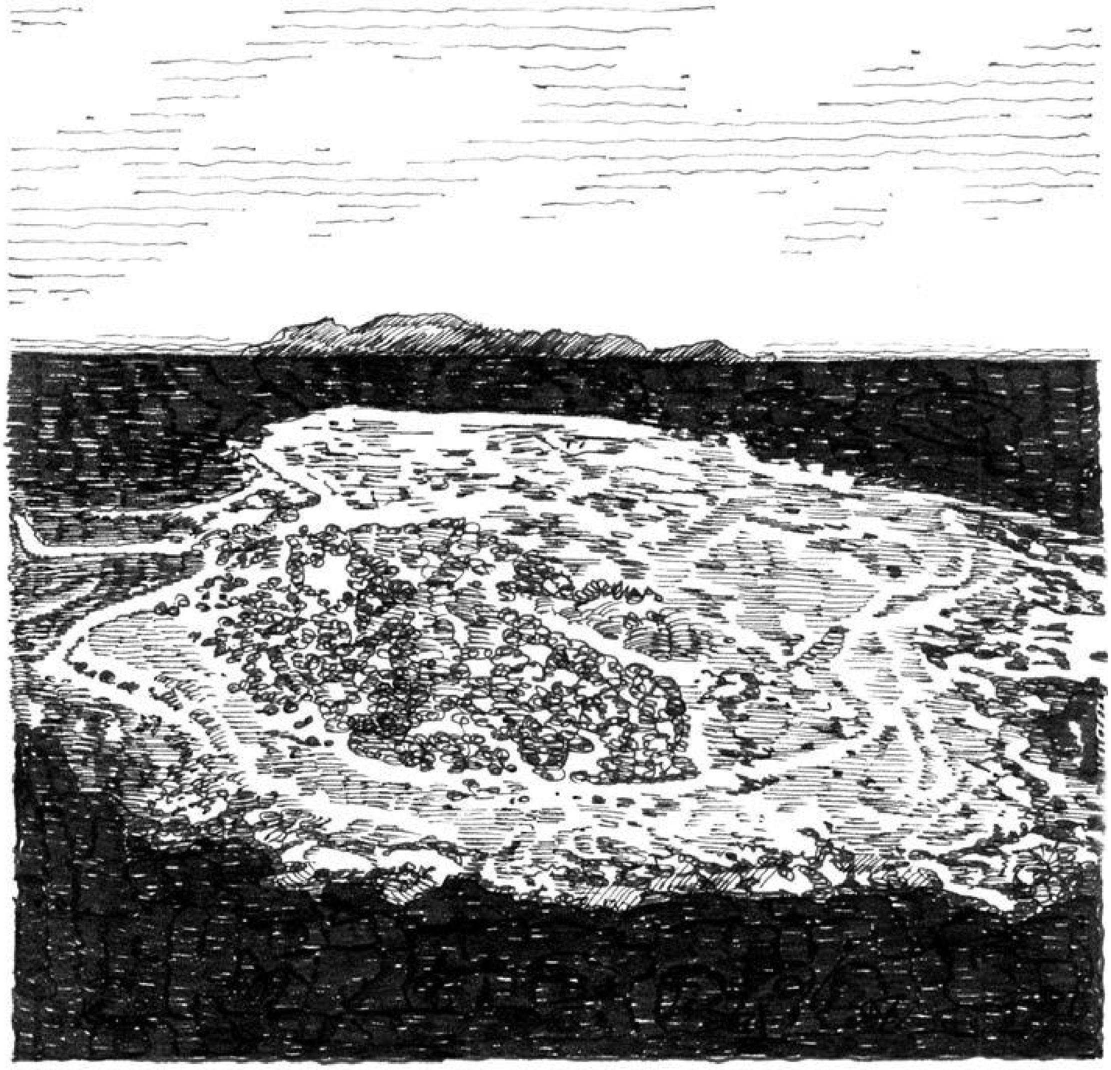
كانت أجواء قاعة المحاكمة متوترة، واستغرق المحامون المترافعون ضد ''نيلسون'' وأصدقائه خمسة أشهر لعرض حججهم القانونية، وفي أبريل، وقف ''نيلسون'' ليتحدث. كانت أمه العجوز وزوجته تشاهدانه من المكان المخصص

للجمهور، ولم يقدم أي دليل في دفاعه. وبدلا من ذلك، أدلى بتصريح قال فيه: " نحن نؤمن بأن جنوب أفريقيا تنتمي لكل الناس الذين يعيشون فيها وليس لمجموعة واحدة، سواء أكانت سوداء أم بيضاء".

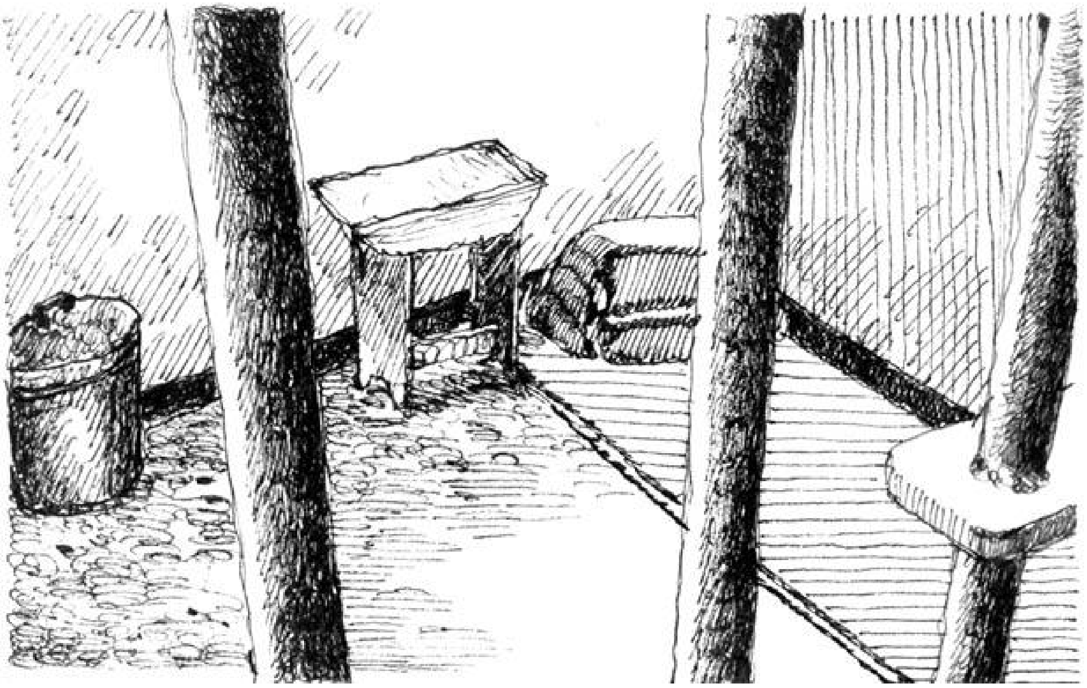


وتحدث "نيلسون" عن القوانين الظالمة، والحياة في بلدات السود المزدحمة، والسلوكيات الوحشية للحكومة، وتحدث عن الحق في التصويت، والحق في التعليم، والحق في أن يُعامل المرء بالاحترام اللائق. استمعت المحكمة لساعات، وهي في حالة ذهول حيث قال: "لقد كرست نفسى لنضال الشعب الإفريقي. إن هذا المثل الأعلى هو ما أتمنى أن أعيش لأجله وأن أحققه. واذا تطلب الأمر، فإن هذا المثل الأعلى هو الشيء الذي أنا مستعد للموت في سبيله".

بعد المحاكمة، حكم القاضي على "نيلسون" والمدعى عليهم الآخرين، بما فيهم "والتر سيسولو" بالسجن مدى الحياة.



وتم إرسال ''نيلسون'' و ''سيسولو'' إلى سجن مشدد الحراسة على جزيرة روبن الواقعة على ساحل كيب تاون، ولم يكن مسموحًا بمرور السفن على مسافة ميل بحري من الجزيرة. كان الهرب مستحيلا. واقتيد ''مانديلا'' إلى الزنزانة التي ستكون منزله خلال الأعوام الثمانية عشر التالية. كانت الزنزانة بعرض مترين ونصف المتر وطول أكثر من مترين بقليل، يضيئها مصباح كهربي وحيد بقوة أربعين وات. وكان المصباح مضاءً طوال النهار والليل. وقد كان بمقدور ''مانديلا'' أن يقطع الغرفة في ثلاث خطوات، وكان هناك بساط للنوم وثلاث بطاطين رقيقة جدا إلى حد أنه يستطيع أن ينظر من خلالها فيرى الأشياء، وكان المرحاض الخاص به عبارة عن دلو حديدي صغير.



كان كل السجناء في جزيرة روبن من السود، وكل الحراس كانوا من البيض. كان بمقدور ‘‘مانديلا’’ أن يكتب لأسرته وأن يتسلم منهم خطابا مرة واحدة فقط كل ستة أشهر. وقبل أن يُسمح لـ ‘‘نيلسون’’ بقراءة الخطاب، كان مسئولو السجن يشطبون أي شيء في الخطاب يعتقدون أن ‘‘نيلسون’’ ينبغي ألا يراه. في غالب الأحيان كانت كثير من الكلمات تُشطب، بحيث يحمل الخطاب بالكاد أي معنى. ولم ير ‘‘نيلسون’’ زوجته ‘‘ويني’’ لسنوات، ولم يُسمح له أن يحضر جنازات أمه وابنه الأكبر ‘‘ثيمبي’’ الذي توفي في حادث سيارة عام ١٩٦٩.



وفي كل يوم، كان يستيقظ في الخامسة والنصف صباحا، وكان يغتسل ويحلق ذقنه بالماء البارد، ثم يفرغ دلوه الحديدي. كان مسموحا له بثماني قطع من ورق الحمام يوميا. وكان يُفطر على ثريد بلا طعم، ثم يذهب للعمل- إما إلى تكسير الصخور في باحة السجن أو العمل في محجر الحجر الجيري؛ حيث كان يستخرج ألواحا صخرية ثقيلة بالمعاول والمجاريف ويرفعها إلى الشاحنات. كانت أشعة الشمس الساطعة تنعكس على الحجر الجيري بشكل أضر بقدرته على الإبصار. وفي الصيف كانت درجة الحرارة مرتفعة إلى حد الغليان، وفي الشتاء كان الطقس باردًا وعاصفًا، وغبار الحجر الجيري كان يحرق عينيه وجعل يديه تتقرحان.



كانت المعلومات عن العالم الخارجي تأتي من المساجين الجدد، إلا حينما ترك الحراس قصاصات من الصحف على بساط النوم الخاص به ليعرِّفوه أنه – هناك في جوهانسبرج- تعرضت "ويني" لمضايقات وتم سجنها. لقد فعلوا هذا ليبينوا لـ "نيلسون" كم هو عاجز عن مساعدة عائلته.



“ويني مانديلا”

شاركت “ويني مانديلا” زوجها تصميمه على إنهاء الفصل العنصري، وخلال السنوات التي قضاها في السجن، كانت “ويني” في الغالب تتعرض للسجن، والضرب، والتحرش. وهذه المعاملة جعلتها غاضبة، ودفعتها لرؤية العنف كوسيلة مقبولة للتعامل مع الأعداء. ولقد تمت محاكمتها بتهم الخطف والقتل. وكثير من الناس لم يؤيدوا أسلوبها العدواني، لكنها ظلت شخصية عامة معروفة، وإن كانت مثيرة للجدل. وبالرغم من أن بعض الأشخاص يشيرون إليها على أنها ” أم الأمة”، فإنها لم تكن مهتمة إلى حد كبير بالوصول إلى تسوية أو بخوض المسار البطيء لتحقيق المساواة، وبعدما أصبحت قناعاتها شديدة الاختلاف عن تلك التي يعتنقها “نيلسون” انفصلا في عام ١٩٩٦.



الفصل الثامن

أطلقوا سراح مانديلا

إن السنوات التي قضاها "مانديلا" في جزيرة روبن لم تكسر روحه أبدا، ولم يتوقف أبدًا عن الإيمان بأن جنوب أفريقيا يمكن أن تتغير. كان يتدرب كل صباح ويقرأ كل مساء، وقام بدراسة القانون عبر البريد، وتعلم اللغة والتاريخ الإفريقيين. والوقت الأسوأ بالنسبة له في السجن كان حينما يكون محرومًا من أن يقرأ. استمر هذا الأمر لمدة أربع سنوات، لكن "نيلسون" كان مصممًا، وتخطى امتحانات القانون المتوسطة حينما كان في الخامسة والأربعين من عمره.

كان هناك شيء واحد مبهج بخصوص حياة السجن: الصداقة. كان ممنوعًا على السجناء أن يتحدثوا، لكنهم كانوا يجدون طرقا: كانوا يهمسون بينما يعملون في المحاجر ويمررون رسائل سرية موجزة في الأطباق المتسخة. وقاموا حتى بتنظيم عمليات إبطاء لوتيرة العمل ودخلوا في إضرابات عن الطعام. ربما كان "مانديلا في السجن، لكنه كان لا يزال هزاز الشجر.





ومن بين كل أصدقائه في السجن، كان "والتر سيسولو" هو أكثر شخص اعتمد عليه "مانديلا". كان "سيسولو" بمثابة اللوح الذي ينعكس عليه صوت مانديلا. كان يناقش معه كل أفكاره لتحقيق مساواة السود. وقال "مانديلا" ذات مرة " كنا نمشي جنبا إلى جنب عبر وادي الموت، يعالج كل منا كدمات الآخر، ويعين كل منا الآخر على أن يصمد حينما تتعثر خطى أحدنا". كما كتب "مانديلا" سيرة ذاتية من خمسمائة صفحة على ورق مهرَّب إلى داخل السجن. وقام بدفن الصفحات، ملفوفة في البلاستيك ومخبأة في عبوات الكاكاو في كل أنحاء فناء السجن. كما شجع أيضا السجناء الآخرين على أن يدرسوا ويتعلموا. وبرغم أن نيلسون كان قائدًا، كان السجناء الأصغر منه مندهشين من تواضعه.

كانت حياة السجن شاقة جدا على "نيلسون". وحينما منعه المرض من العمل في المحجر، تم عزله عن أصدقائه في زنزانة انفرادية رطبة وباردة، وكل ما مُنح له ليأكله هو الأرز والمياه.



في هذه الأثناء، كان "أوليفر تامبو" لا يزال يسافر حول العالم ليخبر الناس بمانديلا وبالنضال ضد الفصل العنصري. والتقى مع مجموعات حقوق مدنية ورؤساء حكومات، كما أقام فروعا دولية لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي، وبدأ زعماء العالم الذين عرفوا فيه وجه جنوب أفريقيا الجديدة المطالبة بإطلاق سراح "مانديلا". كما قام "تامبو" أيضًا بإعداد وتنظيم مقاتلين ثوريين في معسكرات التدريب في تنزانيا وزامبيا القريبتين. وقام بنقل الجنود إلى أنجولا، على حدود مقاطعة تحت سيطرة جنوب أفريقيا. وبالقيام بهذا الأمر أرسل رسالة لحكومة جنوب أفريقيا البيضاء: حزب المؤتمر الوطني الأفريقي عازم على خوض الحرب.



وفي عام ١٩٧٦، عرض وزير شئون المساجين أن يخفض عقوبة "مانديلا" إذا كان سيدعم مشروع الحكومة الأخير، نظام الموطن الأصلي.

كانوا يأملون أن يستخدموا نفوذ "مانديلا" لدعم أجندتهم الخاصة؛ لكن "مانديلا" قال لا. وحاولت الحكومة أن تغريه باتفاقات أفضل إذا تخلى عن أصدقائه، ومرة أخرى قال "مانديلا" لا.

كان "مانديلا" في الثامنة والخمسين حينما أقرت الحكومة قانونا ينص على أن كل المدارس عليها أن تدرس المواد الصعبة مثل الحساب والعلوم باللغة

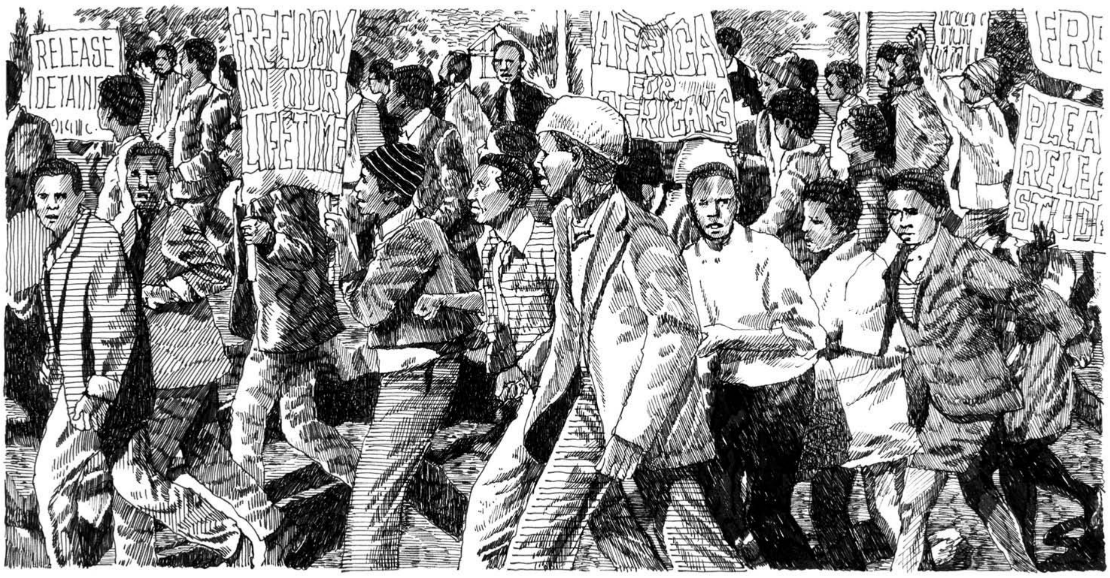
الأفريكانية. ولم يكن معظم الطلاب السود يكادون يفهمون حتى اللغة الأفريكانية، واعتقدوا أنها لغة مضطهِديهم. فكيف إذن تكون لديهم فرصة لتعلم أي شيء؟ مرة أخرى، كانت الحكومة تكتشف طرقًا لزيادة حرمان الطلاب السود من الحصول على تعليم لائق.

نظام الموطن الأصلي

في عام ١٩٧٠ قسمت حكومة جنوب أفريقيا البلاد إلى ولايات منفصلة تبعا للعرق، وتحت هذا الترتيب الجديد، المسمى بمنظومة الوطن، لن يكون الأشخاص السود مواطنين في جنوب أفريقيا بعد ذلك، وسيدخلون جنوب أفريقيا بتصاريح عمل مؤقتة للقيام بوظائفهم. والأشخاص السود الذين يرفضون العيش في الأوطان المخصصة لهم - أماكن في الغالب لم يذهبوا إليها قبل ذلك - سيتم نقلهم بشكل قسري. لكن هذه "الدول المستقلة" لن يُعترف بها بشكل رسمي من قبل بقية دول العالم.



زامبيا
أنجولا
زيمبابوي
ناميبيا
بوتسوانا
موزمبيق
سوازيلاند
جنوب أفريقيا
ليسوتو
كيب تاون
المواطن الأصلية لجنوب أفريقيا



وقد نظمت مجموعة من بلدة سويتو احتجاجا، وشارك فيه عشرة آلاف طالب، بعضهم كان فقط في السادسة من عمره. وبرغم ذلك أطلق البوليس النار عليهم، وأضحت بلدة سويتو ميدانا لمعركة، ومرة أخرى امتلأت الطرقات بجثث الموتى، وكان كثير منهم من الأطفال. فشارك آباؤهم في القتال، وامتدت شرارة الاحتجاج في سويتو إلى بلدات أخرى. واستمرت أعمال الشغب لمدة ستة عشر شهرًا قبل أن يتم القضاء عليها. وتوفي ما يقارب ألف شخص فيما تم إلقاء القبض على ٥٩٨٠ آخرين، ولم يخسر رجال الشرطة فردًا واحدًا.

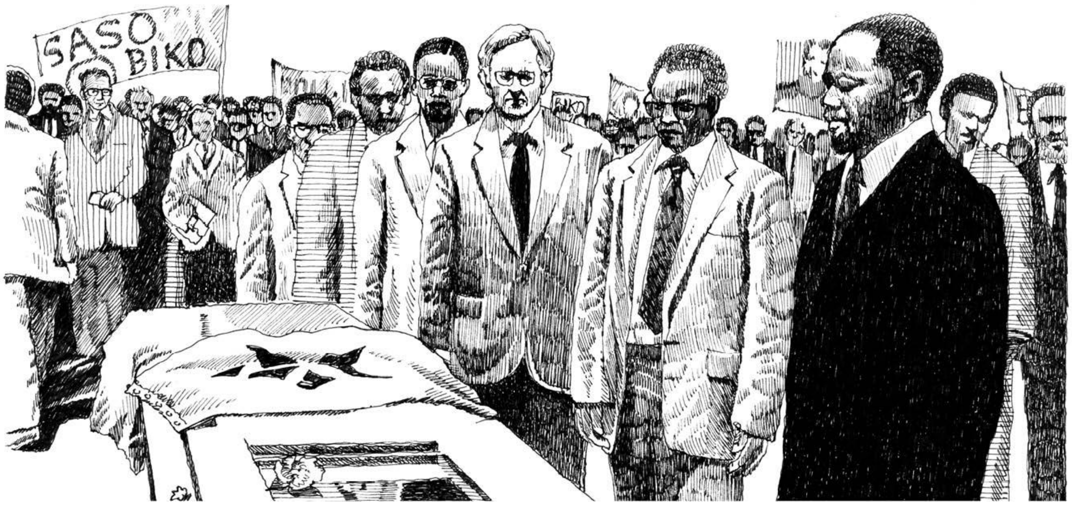


في جزيرة روبن كان هناك الكثير من السجناء الجدد، إلى حد أنه كان من الأسهل إبقاؤهم محبوسين في زنازينهم عن جعلهم يعملون، ورغم ذلك، لم يكن مهما كم عدد قادة الحقوق المدنية الذين تم إرسالهم للسجن. فقد كان هناك قادة جدد، مثل ''ستيف بيكو''، دائما يتقدمون ليحلوا محلهم. وأسس ''بيكو'' عيادة صحية وبرامج مجتمعية بالإضافة إلى فصول في المهارات العملية تهدف إلى جعل الجنوب أفريقيين السود مستقلين.



ستيف بيكو

وقد تم اعتقال "ستيف بيكو" مرات عديدة بسبب عمله. وفي عام ١٩٧٧ كان في الحبس الاحتياطي لمدة خمسة وعشرين يوما، حينما أعلنت الشرطة أنه توفي في زنزانته بسبب قيامه بإضراب عن الطعام (الإضراب عن الطعام يحدث حينما يرفض شخص ما تناول الطعام ليحتج على الظلم)، لكن الحقيقة أن "بيكو" ضُرب ثم تُرك ليموت مكبلا في زنزانته، ولم يتم اتهام أي شخص بقتله أبدا، وحاولت الشرطة أن تمنع الناس من حضور جنازة "ستيف بيكو" في مدينة كنج ويليام في الكيب الشرقية في ٢٥ سبتمبر عام ١٩٧٧، لكن عشرين ألف مواطن أسود وكثيرًا من المواطنين البيض أيضا جاءوا للتعبير عن احترامهم وتقديرهم لـ "بيكو". وأرسلت الولايات المتحدة واثنتا عشرة دولة غربية أخرى مندوبيها للحضور. وقد أراد المحتجون في البلاد الأخرى من حكومات تلك الدول والمؤسسات الأخرى أن يوقفوا التبادل التجاري مع جنوب أفريقيا.



كان الضغط على الجنوب أفريقيين البيض يتصاعد، وكان "نيلسون مانديلا" رمزًا للأمل في وجود جنوب أفريقيا أفضل، وكان أكثر الناشطين شهرة. وفي عام ١٩٨٠ نشرت صحيفة ذا صنداي بوست بجوهانسبرج، وصحيفة تابعة للسود، عريضة للإفراج عنه. وكان العنوان الرئيسي هو : أطلقوا سراح "مانديلا".

فهل تستمع الحكومة لذلك؟

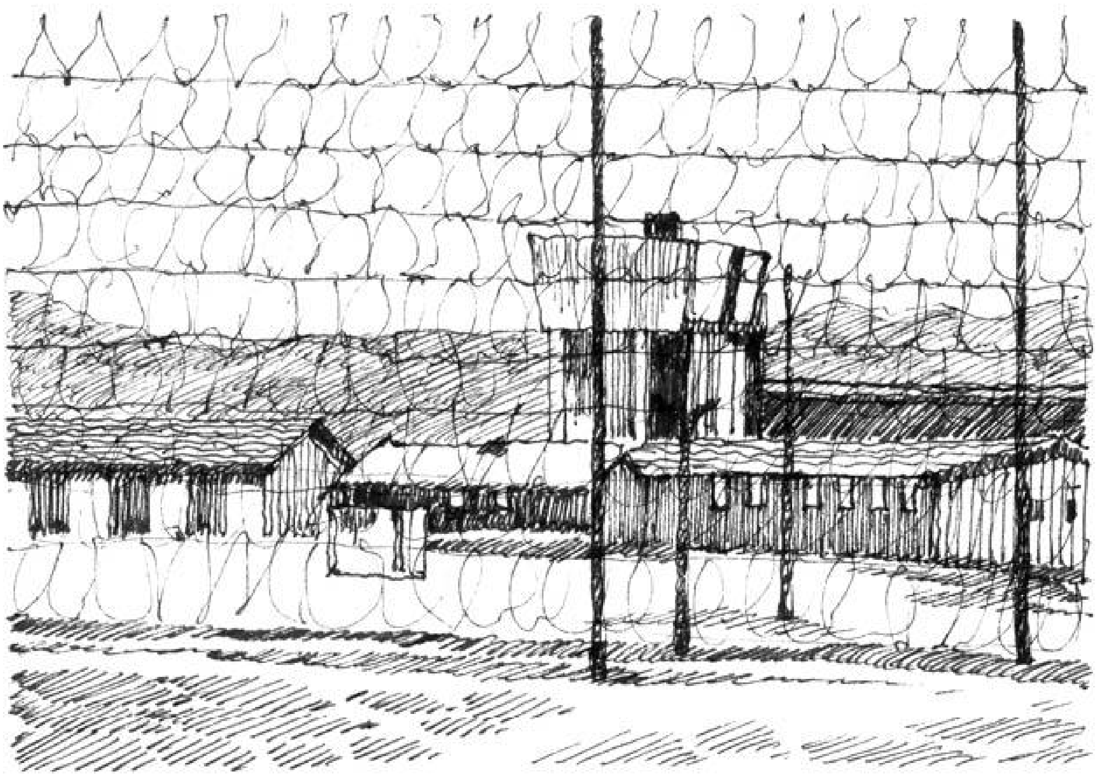


الفصل التاسع

حالة طوارئ

أوشكت جنوب إفريقيا على الإفلاس، لأن كثيرا جدا من الأعمال التجارية الأجنبية لم يكن لديها ما تفعله في البلد. فقد كانت أعمال الشغب تندلع بصفة منتظمة؛ لذا قامت الحكومة بعمل بعض التغييرات، حيث قامت بإلغاء الفصل العنصري في الأوتوبيسات العامة والمسارح وزودت بعض بلدات السود بالكهرباء، وسمحوا للهنود والمواطنين "الملونين" باختيار أشخاص يمثلونهم في الحكومة - ولكن ليس في غرفة البرلمان التي تمثل المواطنين البيض. وكثيرين من الناخبين الأفريكانيين كانوا غاضبين من التغييرات، في حين أن كثيرا من غير البيض لم يروا فارقا كبيرا.

لكن "نيلسون مانديلا" شهد تغييرًا في حياته الخاصة، ففي أبريل ١٩٨٢، تم نقل "مانديلا" إلى سجن بولسمور بالقرب من كيب تاون. وللمرة الأولى خلال عقود، كان لديه فراش، واعتقد كثيرون أن "مانديلا" تم نقله لفصله عن معظم أصدقائه في جزيرة روبن، وبهذه الطريقة لن يكون لدى "مانديلا" القدر ذاته من النفوذ، ولن يستطيع أن يحدث القدر نفسه من المشكلات.



وأعلن رئيس جنوب أفريقيا أنه سيطلق سراح ‘‘نيلسون’’ إذا ناهض العنف كوسيلة للقضاء على الفصل العنصري. وحينما سمع ‘‘مانديلا’’ العرض، كتب رده وأعطاه لابنته ‘‘زيندزي’’. وقامت بقراءته في إستاد مزدحم في سويتو، وكانت هذه هي المرة الأولى التي تُسمع فيها كلمات ‘‘مانديلا’’ بشكل قانوني في العلن منذ إرساله إلى السجن.

كتب ‘‘مانديلا’’: ’’ الرجال الأحرار فحسب يمكنهم أن يتفاوضوا، أما المساجين فلا يمكنهم إبرام العقود. حريتكم وحريتي لا يمكن الفصل بينهما. إن ‘‘نيلسون’’ لن يقبل الحرية لو تطلب حصوله عليها أن يدعم الفصل العنصري بأية وسيلة’’.





في عام ١٩٨٩، تم انتخاب "إف. دبليو. دي كليرك" ذي الثلاثة والخمسين عاما رئيسا لجنوب أفريقيا. وبرغم كونه من قادة حزب نات، وعد "دي كليرك" بالتفاوض مع حزب المؤتمر الوطني الأفريقي لحل مشاكل جنوب أفريقيا. وأطلق "دي كليرك" سراح "سيسولو" وآخرين من سجن جزيرة روبن. وطلب حضور "مانديلا" للقائه في شهر ديسمبر. وبعد مرور شهرين أعلن "دي كليرك" أن المؤتمر الوطني الأفريقي لم يعد جماعة محظورة، ثم قام بإعلان أكثر أهمية: "نيلسون مانديلا" سيُطلق سراحه!

الفصل العاشر

الرئيس "مانديلا"



في يوم ١١فبراير عام ١٩٩٠، في الساعة ٤:١٥ مساءً، خطا "مانديلا" خطواته الأولى خارج السجن. كان عمره واحدًا وسبعين عاما، وكان قد قضى عشرة آلاف يوم خلف القضبان. وخارج مبنى بلدية كيب تاون، احتشد خمسون ألف شخص ليسمعوه يتحدث. وهتف " أماندلا!"والتي كانت تعني " القوة لنا!"



والأشخاص الأكبر سنا لم يروا "مانديلا" لمدة طويلة، فلم يكونوا يعرفون ما الذي عليهم أن يتوقعوه، والجنوب أفريقيون الأصغر سنا لم يروه من قبل قط، فتوقعوا أن يروا رجلا عجوزا يحاول أن ينخرط في العمل السياسي؛ لكنهم كانوا مخطئين؛ فالحرية أعادت شحن طاقة "مانديلا". فشرع في القيام برحلة حول العالم حيث كانت تحييه الحشود الغفيرة، وفي بلده، تناقض مع كثير من الجنوب أفريقيين السود ممن كانوا لا يزالون غير راغبين في العمل مع الجنوب أفريقيين البيض أو أن يستمعوا للحديث عن التسامح. كان العنف جزءًا من حياتهم لزمن طويل، وبدا أنه هو الرد الوحيد. كان "نيلسون" لا يزال مؤمنًا بأن على السود والبيض أن يعملوا معا، كما كان يعتقد أن بإمكانهم أن يتركوا خلافاتهم وراءهم.

وقد أراد الجنوب أفريقيون البيض من "مانديلا" أن يمتدح الحكومة وأن يكون ممتنًا لإخراجه من السجن. وبدلا من ذلك، قام بتشجيع الدول الأجنبية على الاستمرار في رفض التبادل التجاري مع جنوب أفريقيا حتى ينتهي الفصل العنصري فعليا للأبد. وطالب "مانديلا" بما لا يقل بأي حال عن مواطن واحد، بصوت واحد. وقال " وحينما تم إرسالي للسجن منذ سبعة وعشرين عامًا لم يكن لديَّ الحق في الانتخاب... وحينما خرجت ما زلت لا أمتلك الحق في الانتخاب -

هذا بسبب لون جلدي". وقد تراجع الرئيس "دي كليرك" حينما تعلق الأمر بإحداث تغيير حقيقي؛ فربما كان يأمل أن نفوذ "مانديلا" سيذوي بمرور الوقت.

وكان الجنوب أفريقيون السود محبطين لقلة ما يحدث من تغيير، وفي أغسطس عام ١٩٩٢ قاد المؤتمر الوطني الأفريقي إضرابا عاما على مستوى الدولة، وهو الإضراب الأكبر في تاريخ جنوب أفريقيا، مطالبين بإنهاء الفصل العنصري، ورفض المواطنون في كل أنحاء البلاد أن يذهبوا للعمل. وبعد مرور شهر في بيشو، جنوب أفريقيا، أطلق الجنود النار على مسيرة لحزب المؤتمر الوطني الأفريقي، حيث قتلوا ثمانية وعشرين شخصا وجرحوا ما يقارب مائتي شخص، وفي ٢٦سبتمبر عام ١٩٩٢، وَقَّع "مانديلا" و " دي كليرك" مذكرة تفاهم تنص على أنهما سيتوصلان إلى اتفاق بخصوص الحكومة. وفي عام ١٩٩٣، حصل "مانديلا" و "دي كليرك" معًا على جائزة نوبل للسلام.

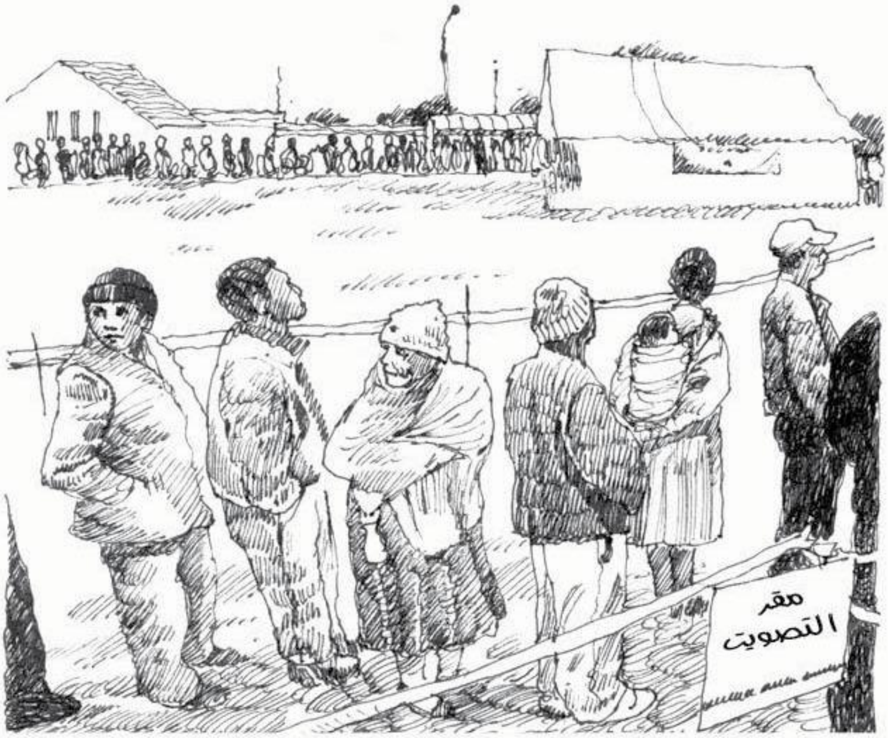


جائزة نوبل للسلام



كان "ألفريد نوبل" عالما سويديًا، وهو الذي اخترع الديناميت، كما قام أيضا بتصنيع الأسلحة، لكن بينما كان يتقدم في السن، لم يكن يرغب في أن يتم تذكُره بالأشياء المدمرة؛ لذا ترك برغبته مالا كافيا لمنح جوائز سنوية للتميز في مجالات تجعل العالم مكانا أفضل. وهذه الجوائز كانت للإنجازات في مجالات الفيزياء، الكيمياء، الطب، والأدب. وهناك جائزة خامسة تُمنح لأي شخص يعمل على إحلال السلام في العالم. وفي مساعيهما لجمع كلمة مواطني جنوب أفريقيا، حاز "مانديلا" و"دي كليرك" ذلك الشرف.



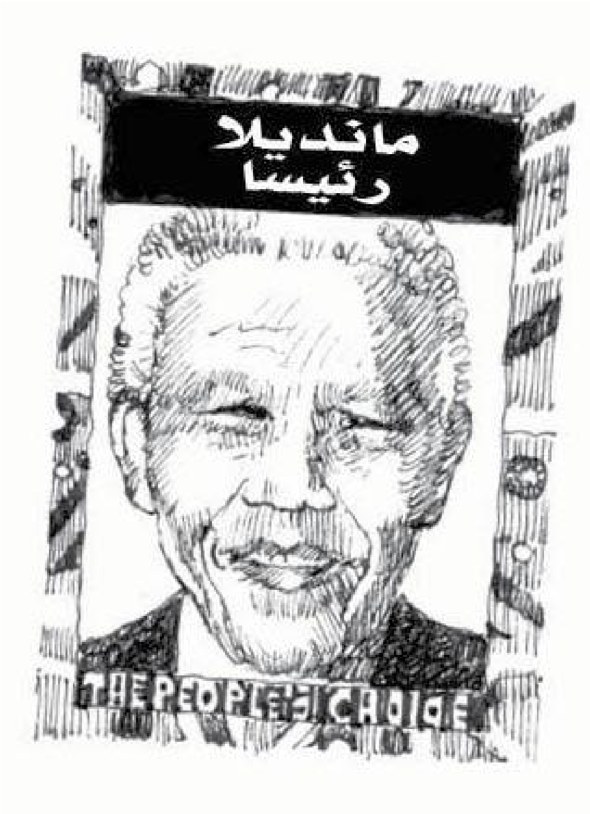


في شهر أبريل في العام التالي، أقامت جنوب أفريقيا انتخاباتها الديمقراطية الأولى بالفعل، وكان المواطنون سيصوتون للنواب في البرلمان والجمعية الوطنية، بالإضافة إلى الحكومات المحلية في الأقاليم. وكان أي من مواطني جنوب أفريقيا البالغين من السكان، البالغ عددهم أربعين مليونا، بإمكانه التصويت، بمن في ذلك المواطنون السود. ودخل "نيلسون مانديلا" السباق على الرئاسة، ومن الصعب تخيل كيف كان هذا الأمر مثيرًا للجنوب أفريقيين السود. فحينما كان موكب "مانديلا" يدخل إحدى المدن، كان الناس يسارعون للهتاف، ويتغنون باسمه، ويرقصون في الشوارع، ويتسلقون أعمدة الإنارة لإلقاء نظرة خاطفة على بطلهم.



بالطبع ساعد ''والتر سيسولو'' صديقه ''نيلسون'' في حملته للرئاسة؛ لكن للأسف، لم يعش صديق ''نيلسون'' المقرب الآخر، ''أوليفر تامبو''، حتى يرى أول انتخابات

ديمقراطية بالفعل في جنوب أفريقيا؛ فقد توفي جراء سكتة دماغية في ٢٤ أبريل عام ١٩٩٣ - وبدون كل ما قام به من عمل، ربما لم يكن "نيلسون" ليخرج من سجنه.



وقد تنافس "نيلسون" على مقعد الرئيس ضد "دي كليرك"، وخلال أيام الانتخاب الأربعة وقف الناس صفوفا لمدة ساعات ليصوتوا. وحينما تم إحصاء كل النتائج، فاز المؤتمر الوطني الأفريقي بـ ٢٥٢ مقعدًا من ٤٠٠ مقعد في الحكومة الوطنية. وكان هذا يعني وجود ٢٥٢ ممثلًا أسود في الجمعية الوطنية، كما فازوا أيضا بستين مقعدًا من تسعين مقعدًا في البرلمان. وخسر "دي كليرك" الرئاسة، وبصفته حاصلًا على المركز الثاني في الانتخابات سيخدم كنائب للرئيس، وسيكون أول نائب رئيس يخدم تحت إمرة جنوب أفريقي أسود.



وفي ١٠ مايو ١٩٩٤، أصبح "مانديلا" أول رئيس أسود لجنوب أفريقيا. وخدم "مانديلا" لمدة خمس سنوات. وكان الناس غالبا يدعونه " **تاتا"** وتعني "الأب"، أو " السجين ٤٦٦٦٤" بداعي التعبير عن الاحترام للسنوات التي قضاها في جزيرة روبن. لم يكن لدى "مانديلا" خبرة كبيرة بكيفية إدارة الحكومة، وكانت جنوب أفريقيا أكثر تعقيدا من غيرها. فحتى سجلات الحاسوب للمواطنين البيض والسود كانت محفوظة في قاعدتي بيانات مختلفتين تمامًا على نظامي حاسوب مختلفين. وللمرة الأولى، لم يكن صديق "نيلسون " "والتر سيسولو" يعمل بجانبه؛ فقد تقاعد من العمل السياسي بعد الانتخابات، وتُوفي في عام ٢٠٠٣.



وقد نص دستور جنوب أفريقيا الجديد على تجريم كل أنواع التمييز، لكن كان الكثيرون من الجنوب أفريقيين السود لا يزالون يعيشون في حالة من الفقر، وأراد ''نيلسون'' أن يساعدهم، فتبرع بكثير من مرتبه كرئيس لصندوق تمويل للأطفال الفقراء. وحتى في حياته الخاصة كان ''نيلسون'' يحدث تغييرات. ففي عيد ميلاده الثمانين، تزوج مرة أخرى، من ''جراسا ماتشيل'' ناشطة حقوق أطفال، والتي التقاها للمرة الأولى في زيارة لموزمبيق.

وقد تنازل ''مانديلا'' عن الرئاسة في عام ١٩٩٩، وحل محله ''تابو إمبيكي'' والذي خلفه ''كاليما موتلانتي'' و ''جاكوب زوما''، وكلهم كانوا جنوب أفريقيين سودًا ممن كانوا أعضاء في المؤتمر الوطني الأفريقي.

لكن أيام ''مانديلا'' هزاز الشجر لم تكن قد ولت؛ فقد كرس نفسه لتثقيف الجنوب أفريقيين فيما يتعلق بمرض نقص المناعة المكتسبة، وهذه القضية كانت تمثل شأنا شخصيا جدا له؛ لأن ابنه ''ماكجاثو'' توفي بسبب هذا المرض في عام ٢٠٠٥.

ولم يتوقف ''مانديلا'' أبدًا عن النضال لصالح الجنوب أفريقيين، لكنه أخيرا استطاع أن يستمتع بوقته مع عائلته، وفي عام ٢٠١٠ ظهر في مسابقة كأس العالم لكرة القدم، مع وجود جنوب أفريقيا كمستضيف لهذا الحدث في ذلك العام، وكانت هذه هي المرة الأخيرة التي يظهر فيها في مناسبة عامة. فقد عاد إلى قرية طفولته حيث كان أصدقاؤه يزورونه في الغالب. محاطا بأطفاله الثلاثة الباقين،

وبسبعة عشر حفيدا، وبعدد متزايد من أحفاد الأحفاد، مع وجود زوجته إلى جواره، كان "مانديلا" يطل على جنوب أفريقيا مختلفة - جنوب أفريقيا ساعد على إيجادها.



وقد توفي "نيلسون مانديلا" في ٥ ديسمبر عام ٢٠١٣، في منزله في هوتون، جوهانسبرج، من جراء مضاعفات تتعلق بالتهاب الجهاز التنفسي الذي عاني منه في سنوات حياته الأخيرة، وقد حزن الناس من كل مكان حول العالم على رحيل "نيلسون مانديلا"، واحتفوا بميراث السلام والحرية الذي خلَّفه وراءه.



محطات في حياة "نيلسون مانديلا"

أحداث عالمية بارزة

المراجع

Denenberg, Barry. **Nelson Mandela: "No Easy Walk to* .Freedom,"** rev. ed. New York: Scholastic, 2005

Gaines, Ann Graham. **Nelson Mandela and Apartheid in* World History**. Berkeley Heights, NJ: Enslow Publishers, .2001

Irwin, Darrell D. "Awards for Suffering: The Nobel Peace Prize Recipients of South Africa." **Contemporary Justice Review**, .June 2009

Keller, Bill. "South Africa Unions Call General Strike." **New .York Times**, July 2, 1992

Keller, Bill. **Tree Shaker: The Story of Nelson Mandela**.* .Boston: Kingfisher, Houghton Mifflin, 2008

Maltz, Leora, ed. **Nelson Mandela**. Farmington Hills, MI: .Greenhaven Press, 2004

Mandela, Nelson. **Mandela: An Illustrated Autobiography**. .Boston: Little Brown, 1996

McSmith, Andy. "Oliver Tambo: The Exile." **The .Independent**, October 15, 2007

Nelson Mandela Centre of Memory website: **.nelsonmandela.org**

Nelson Mandela Foundation, ed. **A Prisoner in the Garden**. .New York: Viking Studio, 2005

Scott, Christina. **Nelson Mandela: A Force for Freedom**. New
.York: Random House, 2006

* كتب للقراء الصغار

الغلاف الخلفي



الفهرس

1. الغلاف
2. 1
3. الغلاف الأمامي
4. حقوق الطبع والنشر
5. من هو نيلسون مانديلا؟
6. الفصل الأول
7. الفصل الثاني
8. الفصل الثالث
9. الفصل الرابع
10. الفصل الخامس
11. الفصل السادس
12. الفصل السابع
13. الفصل الثامن
14. الفصل التاسع
15. الفصل العاشر
16. محطات في حياة "نيلسون مانديلا"
17. أحداث عالمية بارزة
18. المراجع
19. الغلاف الخلفي